الدوافع المادية للفتوح الأموية
(٤١ ــ ١٣٢ هـ / ٦٦١ ــ ٧٤٩م)

الدكتـــور
علي صدام نصر
الله
جامعة البصرة ــ
كلية التربية للبنات

المقدمـــة : -

تعد الفتوح – التوسع – واحدة من الأساليب التي تم بموجبها انتشار الإسلام . وهي الأسلوب المسلح في نشر الدين مقارنة بالأساليب الأخرى المتمثلة بدور الدعاة والتجار وغيرهم . ولا يعني إطلاق صفة الأسلوب المسلح على الفتوح ، اعتماد القوة في نشر الدين ، بل أنها تعني – حسب المنظور القرآني – الجهاد في سبيل الله لنشر الدين ، وذلك لا يكون إلا بمقارعة الظالمين الذين يقفون حجر عثرة في طريق انتشار الإسلام ، فيحولون بين شعوبهم وبين الاختيار الحر لمعتقداتهم . فالفتوح ينبغي أن تكون مبنية على الجهاد ضد الكفر والطغيان الذي لا يعني جحود الخالق فحسب ، بل يعني الظلم بكافة أشكاله ، ليتم استبدال ذلك بمبادئ الإسلام القائمة على العدل والمساواة وتحقيق سعادة البشر وخيرهم ، ونبذ كافة أشكال الظلم والتمييز .

إلا أن هناك بعض الفتوح التي سميت خطأً بالفتوح الإسلامية ، قد ناقضت ما جاء به الإسلام ، ولاسيما تلك الفتوح التي حصلت في زمن الدولة الأموية (٤١– ١٣٢ هـ /٦٦١ – ٧٤٩م) التي استغلت هذه الطريقة في معظم الأحيان لتحقيق مصالح ضيقة خاصة بالأسرة الحاكمة والمقربين منها دون مراعاة لمصالح السواد الأعظم من المسلمين ، وكان من بين تلك المصالح هي المصالح المادية ، التي عبرت عن سوء استغلال الفتوح الإسلامية ، فكانت واحدة من بين أسباب عديدة أدت الى سقوط الدولة الأموية ، ذلك السقوط الذي توج على أيدي العباسيين سنة (١٣٢هـ / ٧٤٩م) .

من المعروف أن الدعوة الإسلامية هي دعوة عالمية جاءت لهداية جميع البشر ، كما قال تعالى مخاطباً رسوله الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) : { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إلا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا }(١) ، ولم تكن دعوة خاصة بقبيلة من

القبائل أو شعب من الشعوب . وحتى تضمن لنفسها تحقيق هذا الهدف ، أي نشر الإسلام بين كافة البشر ، كان لابد لها من اتخاذ عدة طرق ووسائل من بينها الفتوح . على أن الفتوح لم تكن الوسيلة الأولى والوحيدة في هذا الشأن ، بل سبقتها وسيلة أخرى أهم ، ارتبطت معها أيضاً ، تلك الوسيلة إنما هي نشر الإسلام عن طريق الحكمة والموعظة الحسنة ، كما جاء في قوله تعالى : { ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ }[٢] . وهذا هو الأسلوب السلمي في نشر الدعوة الذي سار عليه الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) في المرحلة المكية [٣] ، تلك المرحلة التي لاقى فيها ومن تبعه من المسلمين شتى صنوف التعذيب من قبل مشركي مكة الذين قاوموا الدعوة ، لأنهم وجدوا فيها ضرراً كبيراً على مصالحهم الاقتصادية والاجتماعية والدينية [٤] . ولم يُقدم الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) على محاربة المشركين ، إلا بعد أن أصبحت لديه القوة الكافية لمجابهتهم ، ولاسيما بعد الهجرة الى المدينة ، التي سبقها نجاحه في نشر الدعوة بين الاوس والخزرج من سكانها ، فاضطر الى قتال المشركين كما أمره الله تعالى : { أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ }[٥] ، لأن في القتال ضرورة لحماية الدين من أعدائه المتربصين به والمتمثلين بدرجة أساس بمشركي مكة ، فضلاً عن اليهود الذين ما انفكوا يدبرون المؤامرات ضد الدين الجديد وضد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ويحاولون اغتياله [٦] .

ولا نريد الإطالة في هذا الموضوع بقدر ما أردنا أن نوضح أن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) قد تمكن من خوض صراع مسلح ضد أعداء الدين من مشركي قريش وحلفائهم من القبائل الأخرى وضد اليهود في شبه الجزيرة ، حتى يتسنى له حماية الدين الإسلامي من مؤامراتهم الهادفة الى القضاء عليه . وقد نجح في تحقيق هذا الهدف ، وأصبحت السيادة للدين الإسلامي في معظم أنحاء شبه الجزيرة . وهذا يعني أن الدين الإسلامي لم ينتشر بحد السيف كما ذهب الى ذلك احد المستشرقين المغرضين [٧] ، بل اعتمد في بادئ الأمر وإلى حد كبير على أسلوب الحكمة والموعظة الحسنة ، ولم يلجأ الى القتال إلا بعد أن وجد ضرورة ملحة لذلك ، ولأن نشر الدين عن طريق القوة يتعارض مع صريح قوله تعالى : { لا إكراه في الدين }[٨] .

وإذا كان احد المستشرقين قد وصف فتوح العهد الراشدي ، بأنها لم تكن قائمة على الإكراه ، فأنه من باب أولى أن تصدق هذه الصفة على عملية نشر الإسلام في عهد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) . حيث ذكر غوستاف لوبون في هذا الشأن قائلاً : ((وكانت الطريق التي يجب على الخلفاء أن يسلكوها واضحة ، فعرفوا كيف يحجمون عن حمل احد بالقوة على ترك دينه وعرفوا كيف يبتعدون عن إعمال السيف فيمن لم يُسلم . وأعلنوا في كل مكان أنهم يحترمون عقائد الشعوب وعُرفها وعاداتها ، مكتفين بأخذهم في مقابل حمايتها ، جزية

زهيدة تقل عما كانت تدفعه الى ساداتها السابقين من الضرائب))[٩] . ثم أشار أن العرب قبل أن يسعوا الى فتح أي بلد كانوا يرسلون إليه رسلاً حاملين شروطاً للوفاق متمثلة باعتناق الإسلام أو دفع الجزية أو القتال[١٠] . وورود القتال كأحد الشروط لا يعني تناقض في الأمر ، بدليل وروده كآخر شرط من شروط الوفاق ، وكما قيل فأن آخر الدواء الكي ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فأن استخدام أسلوب القتال كان بصفة أساس ضد الأنظمة الحاكمة ، حتى يُتاح المجال واسعاً أمام شعوبها لاعتناق الإسلام بحرية ، أي العمل على إزالة العراقيل من أمام طريق الشعوب والأقوام المضطهدة بغية تحريرها . ويصدق هذا الأمر بصورة واضحة بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ، حيث حاول الخلفاء الراشدون إكمال مهمته في نقل الإسلام الى خارج حدود شبه الجزيرة ، فنجحوا في نشره في مناطق العراق والشام ومصر عن طريق عملية الفتوح . وعلى الرغم من أن العامل الديني كان فعالاً في هذا الشأن ، ولكن ينبغي أن لا نغفل أثر العوامل الأخرى كالعامل السياسي الذي حتم على المسلمين بعد نجاحهم في نشر الإسلام داخل شبه الجزيرة في عهد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ، الاصطدام بالقوتين الرئيستين في العالم حينذاك وهما الإمبراطوريتين الساسانية والبيزنطية . فتمكنوا من القضاء على الأولى ، إلا أنهم أخفقوا مع الثانية لأسباب معينة [١١] .

وإلى الرأي نفسه ذهب احد الباحثين حين دلل على أهمية العامل السياسي مع عدم إغفال العامل الديني فأشار قائلاً : ((وقد استطاع الإسلام أن يوحد هذه الجموع (العربية) وينظمها ويدفع بها نحو مناطق الفتح ، فاندفعت تلك الجموع تنشر السيادة الإسلامية لا الدين الإسلامي كما يُشاع ويُظن دون علم أو تمحيص ، يدل على ذلك أن جميع المواثيق والعهود التي كتبها قواد الفتح لأهل البلاد المفتوحة لم تشترط اعتناقهم الإسلام ، وإنما خيروا بين هذا أو دفعهم للجزية ، والتي لا تعدو أن تكون بمثابة تعويض عن الحماية التي يقوم بها المسلمون لأهل تلك البلاد . ولا يخفى أن الإسلام لا يعترف بالتبشير ولا يقر الإكراه في الدين ، كما وأن انتشاره تم بفعل الامتزاج بين الغالب والمغلوب ، غير أن هذا لا ينفي أن هنالك قوماً تقدموا للخدمة تحت ظل الإسلام حباً في الجهاد ورغبة في إعلاء كلمة الله))[١٢] .

وفضلاً عن اتفاق هذا الباحث مع المستشرق غوستاف لوبون حول عدم قيام فتوح العهد الراشدي على الإكراه ، مع عدم إغفال العامل الديني في تلك الفتوح ، إلا انه – علاوة على ذلك – فقد ركز على أهمية العامل السياسي حين أشار الى دور الفتوح في توسيع سيادة الإسلام من خلال ضم البلاد المفتوحة تحت لواء الدولة الإسلامية ، ومن ثم فقد أعطى للفتوح دوراً مساعداً لا رئيساً في نشر الدين الإسلامي ، وذلك من خلال إتاحة الفرصة المناسبة والكفيلة في

حدوث الامتزاج بين الفاتحين المسلمين وشعوب البلاد المفتوحة بعد إزاحة الأنظمة الحاكمة التي كانت تقف حجر عثرة في طريق ذلك الامتزاج . كما أن هذا الامتزاج لا يكون ذا قيمة ما لم يكن متفقاً مع تعاليم الإسلام ومثله السمحاء التي تدعو الى حسن التعامل والعدل والمساواة ، ونبذ كافة أشكال الظلم والتعصب والتمييز .

كما كان للعامل الاقتصادي دوراً في هذا الشأن أيضاً . ولكن دوره في عهد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) كان ثانوياً أو مساعداً ولم يكن دوراً رئيساً . فالعامل الاقتصادي وببساطة كان حينذاك وسيلة وليس غاية ، لأن الغاية هي نشر الإسلام ، ومن الأمور المساعدة على ذلك ، والتي كانت من نتائج الانتشار في بعض الأحيان هي العامل الاقتصادي أو القوة الاقتصادية التي كانت من عوامل انتصار الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) على قريش وباقي أعدائه[١٣] .

أما في العهد الراشدي فقد برزت أهمية العامل الاقتصادي في الفتوح منذ أيام أبي بكر ، الذي ذكر عنه البلاذري انه لما فرغ ((من أمر أهل الردة رأى توجيه الجيوش الى الشام فكتب الى أهل مكة ، والطائف ، واليمن وجميع العرب بنجد والحجاز يستنفرهم للجهاد ويرغبهم فيه وفي غنائم الروم ، فسارع الناس من بين محتسب وطامع وأتوا المدينة من كل أوب))[١٤] . وهذا يعني أن المسلمين في تلك الحقبة كانوا ينقسمون بشكل عام من حيث الدوافع التي حدت بهم الى الإسهام في حركة الفتوح الى فريقين رئيسين : فريق كان دافعه دينياً متمثلاً بالجهاد في سبيل الله محتسباً وجهه الكريم والرغبة في نيل مثوبته وآخر كان دافعه مادياً اقتصادياً ، ويبدو أن هذا الفريق كان يشكل الأغلبية متمثلاً بصفة خاصة بقبائل البدو التي تدفعهم الحاجة المادية ويحدوهم الأمل الى الاستقرار في المناطق الخصبة شمال شبه الجزيرة كالعراق والشام . وقد عبر احد المؤرخين المحدثين عن هذه الحقيقة المتمثلة باختلاف دوافع الفاتحين في العهد الراشدي فذكر قائلاً : ((ولئن كانت الآخرة أو شوق البعض الى بلوغ جنة النعيم قد حبب لهم حومة الوغى فأن ابتغاء الكثيرين حياة الهناء والبذخ في أحضان المدنية التي أزدهر بها الهلال الخصيب كان الدافع الذي حبب لهم القتال))[١٥] .

إذن فعلى الرغم من أهمية العامل الديني في فتوح العهد الراشدي ، إلا أن العامل الاقتصادي أخذ دوره يتعاظم في سبيل خلق دولة إسلامية قوية اقتصادياً ، حتى يتسنى لها الوقوف ضد الدول الأخرى كالساسانية والبيزنطية[١٦] . وقد ساعدت الفتوح على تحقيق هذا الهدف ، وترتب عليها نتائج خطيرة تمثلت بطغيان العامل المادي على نفوس قسم غير قليل من المسلمين ، بعد تدفق الغنائم ولاسيما من بلاد العراق وفارس ، فأدى ذلك بدوره الى التحاق أعداد أخرى من عرب الجزيرة بالجيش الإسلامي في العراق وبلاد الشام ، من اجل أن يحظوا

بنصيب من هذه الغنائم التي وصفت بكثرتها ، فكان لها دور في إغراء قسم كبير من المسلمين[١٧] .

ولا نريد الإفاضة في أهمية العامل الاقتصادي في فتوح العهد الراشدي ، بقدر ما أردنا أن نوضح أن جذور أهمية هذا العامل في العهد الأموي بدأت تلوح علائمها منذ العهد الراشدي . فما أن قامت الدولة الأموية واستأنفت فتوحاتها حتى كان للعامل الاقتصادي حصة الأسد في ذلك . وهذا الأمر لا يدلل فقط على أهمية هذا العامل وطغيانه على عملية الفتوح الأموية ، بل يدلل في الوقت نفسه على تناقض واضح وصريح بين نشر الدين الإسلامي عن طريق عملية الفتوح ، والعامل الاقتصادي الذي طغى على هذه العملية حتى انه أصبح غاية لا وسيلة ، على عكس ما كان في عهد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) والى درجة أقل في عهد الخلفاء الراشدين من بعده . ولكن في عهد الأمويين أصبح التناقض سافراً، فهم وإن تبجحوا بنشر الدين الإسلامي من خلال عملية الفتوح ، إلا أن أعمالهم وسياستهم سواء فيما يخص الفتوح أو فيما يخص الجوانب الأخرى ، كانت مناقضة لهذا الزعم . ولو أردنا أن ندلل على صحة ذلك ، فإننا سوف لن نحتاج الى كبير عناء لإثباته .

فتاريخ الأمويين حافل بالشواهد التي تؤكد ذلك ، بدءاً من قيام هذه الدولة الذي كان عن طريق القوة[١٨] ، ومروراً بأسلوب الحكم الذي سارت عليه والمتمثل بالنظام الملكي الوراثي ، ضاربة بنظام الشورى والانتخاب عرض الحائط[١٩] . حيث روي عن سعيد بن المسيب[٢٠] انه قال : ((فعل الله بمعاوية وفعل، فأنه أول من أعاد هذا الأمر ملكاً))[٢١]،((وكان معاوية يقول : أنا أول الملوك))[٢٢] . كما أورد الابشيهي رواية طريفة في هذا الصدد ، إلا إنها لا تخلو من مغزى ، ونصها : ((قيل اجتمع الناس عند معاوية ، وقام الخطباء لبيعة يزيد ، وأظهر قوم الكراهة ، فقام رجل من الخطباء من عذرة يقال له يزيد بن المقنع ، فاخترط من سيفه شبراً ، ثم قال : أمير المؤمنين هذا ؟ وأشار الى معاوية ، ثم قال : فأن يهلك فهذا ، وأشار الى يزيد ، ثم قال : فمن أبى فهذا ، وأشار الى سيفه ، فقال له معاوية أنت سيد الخطباء))[٢٣] .

وكذلك طريقتها السياسية في حكم المسلمين بالقوة ، وقمع المعارضة التي استفحلت ضدها بوحشية لا نظير لها غير مبالية بدين أو أخلاق ، بعد أن هتكت حرمة الإسلام والمسلمين ورموزه البارزة ، حين أقدمت على قتل الإمام الحسين (عليه السلام) وأهل بيته في مجزرة شنيعة يندى لها جبين التاريخ[٢٤] . وكذلك هتكها حرمة مدينة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وارتكاب أفظع الأعمال فيها[٢٥] ، فضلاً عن ضرب الكعبة الشريفة وإحراقها[٢٦] . وغيرها من الأعمال الشنيعة التي تم ارتكابها في عهد هذه الدولة من قبل خلفائها وولاتهم وقادتهم ، كل ذلك من اجل تثبيت عروشهم وحمايتها حتى ولو كان ذلك عن طريق سفك دماء

المسلمين وانتهاك حرمتهم . وقد كانت أعمالهم هذه بربرية بطبيعتها ، فاقوا بها عرب الجاهلية الذين كانوا في كثير من الأحيان أكثر احتراماً منهم لحرمة الكعبة الشريفة ، التي لم تنتهك في العهد الجاهلي [٢٧] ، بل أُنتهكت في العهد الإسلامي ومن قبل الأمويين الذين كانوا يدّعون إنهم خلفاء المسلمين وأمراء المؤمنين ! وهذا التناقض الصارخ من أعجب العجائب وأغرب الغرائب . ليس هذا فحسب بل أن عرب الجاهلية كانوا أيضاً أكثر احتراماً لما تعارف عندهم من أخلاق وعادات وتقاليد.

أما في مجال الفتوح ، فقد كان الدافع الاقتصادي ذو أثر كبير بالنسبة لدولة ملكية قامت عن طريق القوة والاحتيال [٢٨] ، وواجهت بعد قيامها معارضة شديدة ، الأمر الذي يثبت عدم شرعيتها . فكان لابد لملوك هذه الدولة أن يولوا الجانب الاقتصادي أهمية كبيرة من خلال عدة طرق كانت الفتوح أبرزها ، حيث أنها مكنتهم من الحصول على ثروات كبيرة لم يتسنّ لهم الحصول عليها وبالمقدار نفسه من طرق أخرى [٢٩] .

ومن الأمثلة على ذلك الرواية التي تقول : ((وأغزى معاوية بن حديج [٣٠] جيشاً في البحر الى صقلية في مائتي مركب فسبوا وغنموا وأقاموا شهراً، ثم انصرفوا الى أفريقية بغنائم كثيرة ، ورقيق ، وأصنام منظومة بالجوهر ، فاقتسموا فيئهم . وبعث ابن حديج بالخمس الى معاوية بن أبي سفيان))[٣١] . فضلاً عن الرواية التي تذكر أن موسى بن نصير[٣٢] عند سماعه بخروج أقوام من البربر عن الطاعة في أقصى بلاد المغرب أرسل ((إليهم ابنه عبد الله فقاتلهم وظفر بهم وأتاه بمائة ألف رأس من سبيهم ثم وجه ولده مروان الى جهة أخرى فأتى بمائة ألف رأس ثم توجه هو الى جهة أخرى فأتى بمائة ألف رأس . قال الليث بن سعد [٣٣] : فبلغ الخمس يومئذ ستين ألف رأس فلم يسمع بهذا في الإسلام))[٣٤] . وذكر المقري أن موسى بن نصير في طريق عودته من الأندلس الى المشرق في سنة ٩٥ هـ / ٧١٤م ارتحل ((بما كان معه من الغنائم والذخائر والأموال على العجل والظهر ، يقال إن جملتها ثلاثين ألف رأس من السبي))[٣٥] . وكذلك ما روي من أن هشام بن عبد الملك (١٠٥ ــ ١٢٥ هـ / ٧٢٣ ــ ٧٤٢م) قد نصب على أفريقية بعد وفاة بشر بن صفوان والياً جديداً هو عبيدة ابن عبد الرحمن القيسي (١١٠ ــ ١١٤ هـ / ٧٢٨ ــ ٧٣٢م) ((فلم يزل بها ، فأغزى الناس في البحر ، فغنم غنائم كثيرة ، فخرج الى هشام بأموال جليلة وعشرين ألف عبد)) [٣٦] . وقد فصّل ابن عبد الحكم في هذه الهدايا فقال : ((وكان فيما خرج به من العبيد والإماء ومن الجوار المتخيرة سبعمائة جارية ، وغير ذلك من الخصيان والخيل والدواب والذهب والفضة والآنية))[٣٧] . وما رواه الرقيق القيرواني من أن والي المغرب عبد الله بن الحبحاب (١١٦ ــ ١٢٣ هـ / ٧٣٠ ــ ٧٣٧م) قد ((بعث حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع غازياً الى المغرب ، فبلغ السوس الأقصى[٣٨] وأرض السودان[٣٩] ، ولم يقابله احد إلا ظهر عليه ، وأصاب من

الذهب والفضة والسبي أمراً عظيماً، ولم يدع قبيلة في المغرب إلا أداخها ، فملؤا منه رعباً وخوفاً،...،وسبى من قبيلة من قبائل البربر يقال لهم مسوفة ، في طريق بلاد السودان ، نساء لهن جمال ، وكان لهن أثمان جليلة لم يُرَ مثلها ورجع سالماً حتى قدم على ابن الحبحاب))[٤٠] .

وفي دولة ملكية كالدولة الأموية ، كان لعملية الفتوح عدة أهداف أبرزها الأهداف السياسية والاقتصادية ، التي كانت تتداخل فيما بينها من اجل خلق دولة قوية سياسياً واقتصادياً ، حتى ولو كان في ذلك تعارضاً مع الدين ، لأن الأمويين حين قاموا بهذه الفتوح كان غرضهم الرئيس من ذلك توسيع دولتهم كي تصبح إمبراطورية تضم عدة شعوب ودول [٤١] ، لإشباع نهمهم الى السلطة وحب الزعامة ، الذي ترجع جذوره الى العهد الجاهلي ، وكان من أسباب صراعهم مع بني هاشم حول زعامة مكة ، ذلك الصراع الذي استمر جيلاً بعد جيل حتى انتقل الى العهد الإسلامي،وأثمر في نهاية الأمر عن نجاح معاوية في تأسيس الدولة الأموية[٤٢] . وحين يكون حب الزعامة والسلطة لذاتها وليس لغرض أخلاقي أو ديني ، لابد أن يكون للعامل المادي الاقتصادي أهمية كبرى لدى الدولة تضاهي أهمية العامل السياسي السلطوي ، للترابط الوثيق بين الجانبين اللذين يعملان على تحقيق الأبهة والترف . حيث ذكر اليعقوبي : ((وفعل معاوية بالشام والجزيرة واليمن مثل ما فعل بالعراق من استصفاء ما كان للملوك من الضياع وتصييرها لنفسه خالصة ، واقطعها أهل بيته وخاصته ، وكان أول من كانت له الصوافي في جميع الدنيا ، حتى بمكة والمدينة)) [٤٣] ، وذكر أيضاً عن معاوية ((ورحل إليه عبد الله بن عمر يوماً، فقال : يا أبا عبد الله ؟ كيف ترى بنياننا ؟ قال : إن كان من مال الله فأنت من الخائنين ، وإن كان من مالك فأنت من المسرفين) [٤٤] . أما ابن عذاري فيقول : ((وكان الخلفاء بالمشرق يستحبون طرائف المغرب ، ويبعثون فيها الى عامل أفريقية ، فيبعثون لهم بالبربريات السنيات فلما أفضى الأمر الى ابن الحبحاب مناهم بالكثير))[٤٥] .

فهذه النصوص وغيرها تبين مقدار الترف الذي عاشه الأمويون من خلال امتلاكهم الثروات الطائلة والقصور الفخمة والأراضي الواسعة [٤٦] . وقد عُرف عن معاوية (٤١ ــ ٦٠ هـ / ٦٦١ ــ ٦٧٩م) ــ على سبيل المثال ــ الكلف بمناعم العيش والتهافت على صنوف المتع والملذات ، كالزهو بالثياب الفاخرة والحلية الغالية ، والأكل والشرب في آنية الذهب ، وسماع الأغاني واللهو [٤٧] ، ولذا فليس من المستغرب أن تلجأه الحاجة الى إنفاق المال في أبهة الملك والإغداق على الأعوان الى إرهاق الرعية بالضرائب ونقض العهود مع أصحاب الجزية [٤٨] .

وبذلك يكون الأمويون قد خالفوا القرآن الكريم الذي وقف موقفاً معارضاً للترف في عدة آيات بيّن من خلالها أثره في هلاك الأمم [٤٩] . حيث وصف

القرآن المترفين في إحدى آياته بأنهم كثيراً ما كانوا يقاومون الدعوات الدينية ، فيقول : { وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إلا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّنا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ }(٥٠) . وهذه الآية تنطبق على حال الدعوة الإسلامية في بداية ظهورها ، حيث وقف معظم أثرياء قريش ولاسيما الأمويين موقفاً معارضاً من هذه الدعوة التي كان مما جاءت لأجله ، ضرب مصالحهم الاقتصادية ومحاربة نفوذهم الاجتماعي وتسلطهم على المستضعفين . وفي آية أخرى يصف القرآن المترفين بالتعصب لعقائد آبائهم ، حسنة كانت أم سيئة ، فيقول مخاطباً رسوله الكريم : { وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ * قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ آبَاءكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ }(٥١) . وهذه الآية تنطبق هي الأخرى على الأمويين الذين شابهت أحوالهم أحوال أسلافهم الجاهليين المشركين في حب الزعامة والترف ومعارضة الدين في الكثير من تصرفاتهم . لذا فليس غريباً أن يستمر الأمويون على شرب الخمر بعد أن أصبحوا خلفاءً للمسلمين ، ولكن على اختلاف بينهم في المقدار ، وقد اشتهر منهم بصفة خاصة من ناحية المجاهرة والمداومة والإكثار ، يزيد بن معاوية (٦٠ – ٦٤ هـ / ٦٧٩ – ٦٨٣م) والوليد بن يزيد بن عبد الملك (١٢٦ هـ / ٧٤٣م)(٥٢) .

وكما قيل فأن الطيور على أشكالها تقع ، فالأمويون عندما تسلطوا على رقاب المسلمين حرصوا على اختيار مساعديهم من أهل الدنيا لا من أهل الدين ، كعمرو بن العاص ، والمغيرة بن شعبة ، وزياد بن أبيه ، وعبيد الله بن زياد ، والحجاج بن يوسف الثقفي (٥٣) . ولو اتخذنا معاوية بن أبي سفيان مثالاً ، لوجدنا انه لم يكن صاحب علم أو دين ، بل كان صاحب جاه ونفوذ لذا فمن أحاطوا به كانوا من أصحاب الدنيا والمغنم ، ولم يكونوا أصحاب دين . وكانت وسائله في كسب الرجال تتمثل في المال والإغراء بالمناصب ، كما تتمثل في الدعاية المضللة التي تهدف الى التمويه على الباطل الذي يمثله ويرفع رايته . فالمال والمناصب كانت وسيلته لكسب من يعرفه وعاصره ، والدعاية كانت وسيلته لكسب من لا يعرفه من التابعين (٥٤) .

ولا يفهم من كل ما تقدم أن القرآن حين ذم الترف ، أراد أن يضيق على حياة المسلمين ، بل على العكس من ذلك ، إذ وردت آيات قرآنية عديدة تحث الإنسان على أن يحيا حياته بصورة معقولة ومعتدلة نسبياً ، حيث لا إفراط فيها ولا تفريط كما جاء في قوله تعالى : { وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا } (٥٥) ، وكذلك { قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللّهِ الَّتِيَ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ . . . } (٥٦) . فالإسلام حارب الترف لكونه عامل فساد وهلاك للمجتمع ، حيث ينتج عن شيوعه عكوف على الدنيا وتعلق بها وابتعاد عن الآخرة .

وعودٌ على بدء ، فإن ما ذكر عن ترف الأمويين يضعف من أهمية العامل الديني في الفتوح التي حصلت في عهدهم ، لأنه سيؤدي بلا شك الى خلق تناقض بين واقعهم الذي كانوا يحيونه وبين مزاعمهم في نشر الدين الإسلامي . فالرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) حين عمل على نشر الدين الإسلامي ابتغى من ذلك هداية البشر ، ونشر العدل والمساواة بينهم ، والقضاء على كافة أشكال الظلم الاجتماعي والاقتصادي والسياسي وغيره مما يتعارض مع مبادئ الإسلام ومثله السمحاء ، التي انتهكت وبشكل كبير من الأمويين الذين نظروا الى مصالحهم بالدرجة الأولى ، وأهملوا مصالح غيرهم من المسلمين ولاسيما أعدائهم ومعارضيهم . فاستخدموا المال وسيلة لشراء الذمم والمعارضين أي كسلاح ضد خصومهم . حيث روي بأن معاوية كان ((إذا بلغه من رجل ما يكره قطع لسانه بالإعطاء ، وربما احتال عليه فبعث به في الحروب ، وقدمه ، وكان أكثر فعله المكر والحيلة))[٥٧] . وقد سار على سياستهم عمالهم وقادتهم الذين عمدوا الى إرضائهم عن طريق إرسال كميات كبيرة من الغنائم والسبي من المناطق التي فتحوها [٥٨] . وقد ذكرنا فيما سبق عدة نصوص كأمثلة على ذلك ، ولا بأس من أن نضيف هنا أمثلة أخرى منها ما ذكره المالكي بقوله : ((ثم رحل حسان [٥٩] بمن معه من السبي والغنائم والأموال الى عبد الملك بن مروان وكان معه خمسة وثلاثون ألف رأس من سبي البربر ، وكان معه من الذهب ثمانون ألف دينار قد جعلها في قرب الماء حياطةً عليها))[٦٠] وأضاف ابن عبد الحكم أن عبد الملك قد ســـــر ((بما أورد عليه حسان من فتوحه وغنائمه))[٦١] . وما ذكره صاحب أخبار مجموعة من ((إن الخليفة وولده كانوا يكتبون الى عمال طنجة في جلود الخرفان العسلية ، فتذبح مائة شاة فربما لم يوجد فيها جلد واحد)) [٦٢] . فكانت هذه الطريقة وما اقترن بها من ضخامة الغنائم وأعداد السبي المرسلة تعد مؤشراً على أثر العامل الاقتصادي المادي في تلك الفتوح المزعومة التي أصبح أمر الدين فيها ثانوياً .

والأدهى من ذلك أن بعض ولاة المغرب كيزيد بن أبي مسلم الذي عُين سنة ١٠٢ هـ / ٧٢٠م قد أساء معاملة سكان البلاد من البربر إساءة كان ثمنها حياته كما أشار الى ذلك ابن عذاري الذي تحدث عنه قائلاً : ((وكان ظلوماً غاشماً ، وكان البربر يحرسونه ، فقام على المنبر خطيباً ، فقال : ((إني رأيت أن أرسم اسم حرسي في أيديهم كما تصنع ملوك الروم بحرسها . فارسم في يمين الرجل اسمه ، وفي يساره (حرسي) ليُعرفوا بذلك من بين سائر الناس ، فإذا وقفوا على احد ، أسرع لما أمر به)) فلما سمعوا بذلك منه ، أعني حرسه ، اتفقوا على قتله ، وقالوا : ((جعلنا بمنزلة النصارى !)) فلما خرج من داره الى المسجد ، لصلاة المغرب ، قتلوه في مصلاه))[٦٣] . كما حدث الشيء نفسه ولكن في عهد والٍ آخر هو عبيد الله بن الحبحاب الذي تولى ولاية المغرب سنة ١١٦ هـ / ٧٣٤

م ، والذي يبدو انه لم يتعظ من مصير سلفه يزيد ابن أبي مسلم الذي دفع حياته ثمناً لظلمه ، وكانت نتيجة الظلم أفدح على الأمويين هذه المرة ، فهم إن كانوا خسروا في المرة السابقة احد ولاتهم ، فقد خسروا هذه المرة أحدى مناطق المغرب ، تلك منطقة المغرب الأقصى التي شهدت قيام أول ثورة كبيرة وخطيرة ضد الأمويين بعد استكمال فتح البلاد ، وكانت هذه الثورة فاتحة عهد تميز بتوالي الثورات المغربية التي أفضت في نهاية الأمر الى تشكيل دويلات مستقلة في تلك الرقعة من العالم الإسلامي [٦٤] ، حيث أوضح ذلك النويري إذ أشار الى أن ابن الحبحاب قد استعمل ((على طنجة وما والاها عمر بن عبد الله المرادي فأساء السيرة وتعدا في الصدقات والقسم وأراد أن يخمس البربر وزعم انهم فيء للمسلمين وذلك ما لم يرتكبه عامل قبله وإنما كانت الولاة يخمسون من لم يجب منهم الى الإسلام فانتفضت البربر بطنجة على عبيد الله وتداعت عليه بأسرها وذلك سنة اثنتين وعشرين ومائة)) [٦٥] . كما ذكر ابن عذاري ((وكان الخلفاء بالمشرق يستحبون طرائف المغرب ، ويبعثون فيها الى عامل أفريقية ، فيبعثون لهم البربريات السنيات . فلما أفضى الأمر الى ابن الحبحاب ، مناهم بالكثير وتكلف لهم أو كلفوه أكثر مما كان . فاضطر الى التعسف وسوء السيرة . فحينئذ عدت البربر على عاملهم فقتلوه وثاروا بأجمعهم على ابن الحبحاب))[٦٦] . وقد أكد الناصري هذا الاستغلال الاقتصادي حين قال عن بربر المغرب الأقصى : ((وثقلت عليهم وطأة عمال ابن الحبحاب جملة بما كانوا يطالبونهم به من الوظائف البربرية مثل الأدم العسلية الألوان وأنواع طرف المغرب . فكانوا يتغالون في جمع ذلك وانتخابه حتى كانت الصرمة من الغنم تهلك ذبحاً لاتخاذ الجلود العسلية من سخالها ولا يوجد فيها مع ذلك إلا الواحد وما قرب منه فكثر عيثهم بذلك في أموال البربر فأجمعوا الانتقاض))[٦٧]. وبعد أن بلغ هشام بن عبد الملك نبأ هزيمة جيشه في المغرب أمام الثوار البربر ومقتل أعداد كبيرة من أشراف العرب وفرسانهم في الموقعة التي سميت بموقعة الأشراف سنة ١٢٣ هـ / ٧٤٠م ، قال : ((أ قُتل أولئك الرجال الذين كانوا يفدون علينا من المغرب ، أصحاب الغنائم ، قيل : نعم يا أمير المؤمنين . قال : والله لأغضبن لهم غضبة عربية ، . . .)) [٦٨] .

وكيف لا يصبح أمر الدين ثانوياً في الفتوح الأموية ، وقد حُرف وأنتهك مراراً، فكان أحرى بالأمويين أن يقوموا بفتح داخلي قبل إقدامهم على هذا الفتح الخارجي [٦٩] ، أي إصلاح أوضاع الشعوب التي تسلطوا عليها ، ونشر العدل والمساواة بينهم وتحسين أوضاعهم المختلفة ، لا ظلمهم وانتهاك حقوقهم والتعالي عليهم وتفضيل طبقة على أخرى [٧٠] . وهذا أمر يعد من المتناقضات ، إذ كيف يقدموا على نشر الإسلام بين الشعوب الأخرى قبل أن يطبقوا تعاليمه ومبادئه على أنفسهم والشعوب التي حكموها ؟ ! الأمر الذي يدلل على أن غايتهم من الفتوح الخارجية ليس لنشر الدين ، بل هي غاية اقتصادية وسياسية ، والدين إنما

اتخذوه وسيلة لتحقيق ذلك [٧١] . فكان ((كثيرون من بني أمية قد نالوا بعض أموال المسلمين أو أموال البلاد المفتوحة من طرق غير مشروعة كالاستيلاء ، أو عن طرق تبدو مشروعة وهي ليست كذلك كالقطائع والهبات)) [٧٢] .

لذا نجد أن عمر بن عبد العزيز (٩٩ ـ ١٠١ هـ / ٧١٧ ـ ٧١٩م) قد حاول إعادة النظر في سياسة الأمويين الداخلية والخارجية ، ووضع برنامجاً يستهدف إجراء إصلاحات على هذين الصعيدين ، وقد نجح في تحقيق قسم منها ، كان من أبرزها أمره بإيقاف الفتوح [٧٣] ، حين رأى إنها قائمة على ظلم واستعباد الشعوب ، وخشيته على المسلمين من التوغل في مناطق بعيدة ، فوجه اهتمامه نحو الداخل من خلال العمل على نشر الإسلام وتعميقه وليس توسيع سيادته فقط ، لأن الفتوح لا تعني بالضرورة إسلام كل أهالي البلاد المفتوحة فذلك أمر شخصي أو نسبي [٧٤] . وقد ذكر احمد شلبي أن الأسلوب السلمي الذي اتبعه عمر في نشر الإسلام القائم على مبدأ الحكمة والموعظة الحسنة ، قد مكنه من استقطاب الكثير من سكان البلاد المفتوحة الذين لم يعتنقوا الإسلام من قبل على الرغم من دخوله بلادهم ، مكتفين بدفع ضريبة الجزية والدخول في ذمة المسلمين [٧٥] . كما أورد أيضاً في مكان آخر كلاماً مشابهاً حين أشار الى انه على الرغم من توقف التوسع الإسلامي بعد سقوط دولة بني أمية ، وعدم تمكن الدولة العباسية من تحقيق تقدم عسكري في هذا الشأن ، لا بل عجزها عن الاحتفاظ بأملاك الأمويين ، إلا أن حركة انتشار الإسلام لم تتوقف ، بل واصل سيره بطرق أخرى كالدعاة والتجار الى قلب أفريقيا ، كما انتشر في الملايو واندونيسيا [٧٦] .

إذن وكما ذهبنا آنفاً أن الفتوح قد عملت على توسيع سيادة الإسلام ولم تكن تعني بالضرورة إسلام كل أهالي البلاد المفتوحة ، فمسألة اعتناق الإسلام هي مسألة شخصية أو نسبية،بدليل وجود الكثير من أهل الذمة ممن يعيشون في ديار الإسلام كرعايا للدولة الإسلامية. كما أن هناك طرقاً أخرى لانتشار الإسلام ، ربما لم تقل في أهميتها عن الفتوح ، كالدعاة والتجار الذين عملوا على نشر الإسلام بالطرق السلمية . ليس هذا فحسب بل أن القوى المعادية للأمويين والعباسيين كان لها دوراً أيضاً في نشر الإسلام في مناطق متعددة من العالم ، كدعاة الخوارج الذين انبثوا بين القبائل البربرية في بلاد المغرب عاملين على نشر الإسلام بينها [٧٧] ، وكالادارسة العلويين الذين كان لهم فضل إيصال الإسلام الى مناطق السودان في غرب أفريقيا [٧٨] ، فضلاً عن نشره بين القبائل الوثنية واليهودية والنصرانية الضاربة في المغرب الأقصى [٧٩] . كذلك فقد أبدى أبناء عمومتهم الزيديين دوراً مماثلاً في المناطق الشرقية لاسيما في منطقة طبرستان والديلم الواقعة الى الجنوب من بحر الخزر (قزوين) والتي اعتنق سكانها ممن بقي على الوثنية أو المجوسية الإسلام على المذهب الزيدي [٨٠] .

وكذلك أجرى عمر بن عبد العزيز بعض الإصلاحات الاقتصادية فيما يخص نظام الضرائب ، كإلغائه ضريبة الجزية عمن أسلم بعد أن أبقاها الأمويون ، ورد على المتحججين بنقص الخزينة بأن الله قد ((بعث محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) داعياً الى الإسلام ولم يبعثه جابياً))[٨١] ، وفي رواية أخرى ((إن الله بعث محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) داعياً، ولم يبعثه خاتناً)) ، كما ورد ذلك لدى الطبري [٨٢] ، الذي أشار الى أن عمر بن عبد العزيز قد رد بهذا القول على والي خراسان الذي ابتكر حيلة تمكنه من معرفة صدق إسلام أهل الذمة في ولايته ، الذين سارعوا الى اعتناق الدين بعد أن أبطل عمر سياسة أسلافه الأمويين في إبقاء الجزية على من أسلم . وهذه الحيلة التي أراد بها ذلك الوالي التأكد من صحة إسلام أولئك الذميين إنما هي الختان كما أشارت الى ذلك الرواية والتي جاءت لتؤكد حقيقة واضحة لا لبس فيها ، أن الله قد بعث رسوله الأكرم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) هادياً وداعياً الى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة ، ولم يبعثه جابياً أو خاتناً. فالإسلام الذي جاء به الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) هو دين رحمة ومساواة ولم يكن ديناً قائماً على استغلال الشعوب واستنزاف خيراتها ، من خلال تحول معظم الغزوات الإسلامية في العهد الأموي الى غارات للسلب والنهب ، كما أدرك عمر هذا الأمر [٨٣] . وبذلك يكون قد شهد شاهدٌ من أهلها . كما أن انتشار الإسلام كان عن طريق الهداية المبنية على القناعة الذاتية وليس عن طريق الإجبار أو الاحتيال، كما غدا في العهد الأموي . حيث أورد ابن الجوزي في هذا الصدد رواية طريفة لا تخلو من مغزى ، فذكر قائلاً : ((كان نصراني يختلف الى الضحاك بن مزاحم ، فقال له يوماً: لِمَ لا تسلم ؟ قال : لأني أحب الخمر ولا أصبر عنها . قال : فاسلم واشربها ، فأسلم ، فقال له الضحاك : إنك قد أسلمت الآن ، فإن شربت حددناك ، وإن رجعت عن الإسلام قتلناك)) [٨٤] .

كما ألغى عمر بن عبد العزيز هدايا النيروز والمهرجان التي كان معاوية أول من قبلها اقتداءً بأكاسرة الفرس ، وغير ذلك من الاجراءات [٨٥] .

إلا أن إصلاحات عمر كانت وقتية ارتبطت بخلافته القصيرة (٩٩ – ١٠١ هـ / ٧١٧ – ٧١٩م) ، وسرعان ما عاد الأمويون الى سياستهم القديمة [٨٦] ، فكانت من أسباب سقوط دولتهم في النهاية على أيدي العباسيين [٨٧] ، الذين كانوا احد العناصر المعارضة للأمويين ، وقد تضمنت دعوتهم فضلاً عن دعوات غيرهم من المعارضين ، كثيراً من الأمور الإصلاحية التي استندت الى إصلاح الأوضاع الفاسدة المتمخضة عن حكم الأمويين . وكان قسم من هذه البرامج قد ركز على إصلاح نظام الضرائب التي كانت مجحفة وغير عادلة ومتعارضة مع الدين كضريبة الخراج ، والجزية التي طالما فرضها الأمويون على من أسلم من الشعوب الأخرى [٨٨] . ويُفهم مما ذكره ابن خلدون ان اشتطاط الأمويين في أخذ

الخراج والجزية من بعض مسلمي ما وراء النهر [٨٩] ، قد أدى الى ارتدادهم واستنجادهم بأعداء الإسلام من الترك ، حيث ذكر إن احد عمال الخراج في تلك المناطق قد ألح في أخذ الخراج ، ((واستخف بفعل العجم والدهاقين . وأقيموا في العقوبات وحرقت ثيابهم ، وألقيت مناطقهم في أعناقهم ، وأخذت الجزية ممن أسلم . فكفرت الصغد وبخارى واستجاشوا بالترك))[٩٠] .

ولا بأس أن نذكر هنا بعض الأمثلة على برامج الثورات التي شهدها العهد الأموي . حيث ذكر الطبري أن بيعة زيد بن علي التي بايع عليها الناس في الثورة على هشام بن عبد الملك والأمويين جاء فيها : ((إنا ندعوكم الى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وجهاد الظالمين ، والدفع عن المستضعفين ، وإعطاء المحرومين ، وقسم هذا الفيء بين أهله بالسواء ، ورد الظالمين ، وإقفال المُجمّرين ، ونصرنا أهل البيت على من نصب لنا وجهل حقنا)) [٩١] .

كما خطب يزيد بن الوليد بن عبد الملك بعد ثورته على ابن عمه الوليد بن يزيد والتي انتهت بمقتله فقال : ((أيها الناس ، إن لكم عليّ أن لا أضع حجراً على حجر ، ولا لَبنة على لبنة ، ولا أكري نهراً ، ولا أكثر مالاً ، ولا أعطيه زوجة ولا ولداً ، ولا أنقل مالاً من بلدة الى بلدة حتى أسد ثغر ذلك البلد وخصاصة أهله بما يُعينهم ، فان فضل فضل نقلته الى البلد الذي يليه ، ممن هو أحوج إليه ، ولا أجمركم في ثغوركم فأفتنكم وأفتن أهليكم ، ولا أغلق بابي دونكم ، فيأكل قويكم ضعيفكم ، ولا أحمل على أهل جزيتكم ما يجليهم عن بلادهم ويقطع نسلهم ، وإن لكم أعطياتكم عندي في كل سنة وأرزاقكم في كل شهر ، حتى تستدر المعيشة بين المسلمين ، فيكون أقصاهم كأدناهم . . .))[٩٢] .

لقد حوى النصان السالفان جملة أمور اقتصادية مهمة ، كان من بينها دلالتهما على عدم وجود عدالة في توزيع الغنائم على الفاتحين من أبناء المناطق الثغرية المواجهة للعدو ، حيث كانت حصتهم من تلك الغنائم قليلة ، لذهاب معظمها الى العاصمة . والأمر المهم الآخر الذي أشار اليه النصان المتقدمان هو تجمير المقاتلة في الثغور ، أي إجبارهم على الإقامة الدائمة أو لمدة طويلة في المناطق الثغرية الحدودية . وكانت الدولة الأموية ترمي الى أغراض سياسية من وراء هكذا نوع من الإجراءات ، كما حدث في الحملة الضخمة التي أسند الحجاج قيادتها الى عبد الرحمن بن الأشعث [٩٣] ، والتي كان هدفها رُتبيل ملك الترك . فهي لم تكن سوى محاولة هادفة الى تشتيت المعارضة في مهمات قتالية مفتعلة[٩٤] . ويرى شعبان : ((أن نقطة الضعف الكبرى في نظام عبد الملك والحجاج هي اعتماده الشديد على حروب الفتح كعلاج عام وشامل لجميع أمراض الإمبراطورية)) [٩٥] . وقد اقتدى الحجاج في ذلك بسلفه زياد بن أبيه الذي أرسل خمسين ألفاً من أبناء الكوفة والبصرة الى خراسان [٩٦] ، رغبة في إبعادهم من اجل التخلص من شغبهم ومعارضتهم وما يثيرونه من مشكلات ،

ولضرب المتمردين هناك في الوقت نفسه [٩٧] . فهم أرادوا بذلك إشغال الجنود بمهمات قتالية كي لا يتحولوا الى أداة للعصيان والثورة ، ولاسيما عند توقف الغنائم . كما ابتغى الأمويون الغرض نفسه حين أشركوا البربر في فتح الأندلس [٩٨] . ويبدو إنهم قد تعارفوا على اتخاذ هذا الإجراء منذ أيام عثمان بن عفان ثم معاوية بن أبي سفيان ، حيث كان من الأغراض المهمة لديهما في استئناف الفتوح هو إشغال الجماعات المعارضة [٩٩] . ولكن هذا فيما يخص الأمويين ، إذ أن أول من تفطن الى أهمية هذا العمل هو الخليفة الأول أبو بكر ، الذي كان يرى أن أحسن وسيلة لمعالجة انقسام العرب هي بتوجيههم الى البلاد الأخرى كي يتسنى لهم ممارسة عاداتهم في الحرب والقتال . ولم يلبث أن أصبح هذا العمل تقليداً سار عليه من جاء بعده ولاسيما الأمويين[١٠٠] .

لقد كانت أهم ناحية تم التركيز عليها في تلك البرامج الثورية هي المساواة التي أكد عليها الإسلام ، دون تمييز بين عنصر وآخر أو قبيلة وأخرى ، وكما جاء في قوله تعالى : { يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ }[١٠١] . في الوقت الذي نجد فيه الأمويين قد ضربوا عرضاً هذا المبدأ الإسلامي من خلال سياسة التمييز العنصري التي ساروا عليها في تفضيل العرب عامة على الموالي فيما يخص نظام العطاء وإسقاط أسمائهم من الديوان ، أو في طريقة المعاملة التي تميزت بالاحتقار ، الأمر الذي دفع هؤلاء الى الاشتراك في عدة ثورات استهدفت الأمويين ، كان آخرها الدعوة العباسية التي تمكنت من استقطابهم بسهولة نظراً لتردي أوضاعهم ، ونجحت بمساندتهم وبفضل عوامل أخر من إسدال الستار على الدولة الأموية سنة ١٣٢ هـ / ٧٤٩م [١٠٢] .

كما خالف الأمويون المبادئ الإسلامية من خلال اعتمادهم سياسة التمييز القبلي ، وذلك ببعث العصبية القبلية التي حاربها الإسلام ، من اجل الاعتماد عليها في تثبيت حكمهم [١٠٣] . فكان الخليفة بمثابة شيخ أكبر للقبائل المنضوية تحت سلطته [١٠٤] . لذا نجده قد انتهج سياسة قبلية واضحة المعالم ارتكزت في بعض الأحيان على حفظ التوازن بين القبائل القيسية واليمنية ، كما حاول معاوية ذلك ، في حين أخفق آخرون في تحقيق هذا التوازن من خلال انحيازهم الى بعض القبائل على حساب البعض الآخر ، مما ولد لهم مشكلات كانوا في غنى عنها [١٠٥] . وبغض النظر عن هذه المشكلات ، فقد كان للقبائل الموالية للأمويين دور كبير في تثبيت سلطتهم [١٠٦] . ونظراً لطغيان الطابع القبلي على سياسة الأمويين ، ذلك الطابع المتمثل بمراعاة التقاليد القبلية على حساب المبادئ الإسلامية [١٠٧] ، كان من الطبيعي أن تصطبغ حروبهم بمظاهر قبلية أشبه بما كان يحدث بين القبائل أيام الجاهلية ، ولعل من أبرز هذه المظاهر هو الصراع بين القبائل القيسية والقبائل اليمانية كما حدث في معركة مرج راهط سنة ٦٤ هـ / ٦٨٣م على سبيل المثال [١٠٨] .

وكذلك انسحبت هذه الظاهرة على فتوح الأمويين ، حيث كان الجيش يتكون من عدد من القبائل التي كثيراً ما كانت تقاتل من اجل الغنائم [١٠٩] ، وهذا أشبه بظاهرة الغزو بين القبائل أيام الجاهلية من اجل السيادة والغنائم ، ولكن على نطاق أوسع ومنظم ومصطبغ بصبغة دينية. فمجتمع ((كان الموروث القبلي الذي يرى اللجوء الى القوة السافرة ما يزال قوياً فيه ، مجتمع تسهل فيه الإثارة بتحريك الغرائز البدائية تحت ستار من شعارات أخلاقية ودينية))[١١٠] . يعزز ذلك ما ذكره لومبارد من أن الأمويين قد ((اعتمدوا في فتوحاتهم على قوة البدو الحربية ، فجندوا رجالهم وسلحوهم وتركوا لهم الغنائم ، مما سمح للأمويين ببسط سلطتهم حتى دمشق التي أصبحوا يهيمنون منها على رؤوس الطرق التجارية))[١١١] .

وعن أهمية الغنائم كدافع للمشاركة في الفتوح فتتضح من خلال نص لابن قتيبة يقول فيه : ((فسار موسى (ابن نصير) حتى غشي صنهاجة ، ومن كان معها من قبائل البربر ، وهم لا يشعرون ، فقتلهم قتل الفناء ، فبلغ سبيهم يومئذ مائة ألف رأس ، ومن الإبل والبقر والغنم والخيل والحرث والثياب ما لا يحصى ، ثم انصرف قافلاً الى القيروان ، وهذا كله في سنة ثمانين فلما سمعت الأجناد بما فتح الله على موسى وما أصاب معه المسلمون من الغنائم رغبوا في الخروج الى الغرب))[١١٢] . كما يتضح الدافع نفسه من نص آخر له ذكر فيه قائلاً: ((ثم انصرف موسى وقد دانت له البلاد كلها ، وجعل يكتب الى عبد العزيز[١١٣] بفتح بعد فتح ، وملأت سباياه الأجناد ، وتمايل الناس إليه ، ورغبوا فيما هنالك لديه))[١١٤] .

وحدث الأمر نفسه عند فتح الأندلس سنة ٩٢ هـ / ٧١٠م ، حيث ذكر المقري ((وتسامع الناس من أهل بر العدوة بالفتح على طارق بالأندلس وسعة المغنم فيها ، فأقبلوا نحوه من كل وجه ، وخرقوا البحر على كل ما قدروا عليه من مركب وقشر ، فلحقوا بطارق ، وارتفع أهل الأندلس عند ذلك الى الحصون والقلاع ، وتهاربوا من السهل ولحقوا بالجبال)) [١١٥] . وقد جعل احد الباحثين غنائم الأندلس الوفيرة من دوافع فتحها حين قال : ((وما من شك أولاً في أن العرب قد عرفوا أشياء كثيرة عن أسبانيا المجاورة لهم . وعن خصب أرضها وما فيها من مغريات الغنائم))[١١٦] . وقد فصّل باحث آخر تلك الثروة المادية التي زخرت بها الأندلس ، بسعة أرضها التي استولى عليها الفاتحون المسلمون، وبثمارها وفواكهها الوفيرة المتعددة ، فضلاً عن ثروتها المعدنية . وبيّن أن الثروة المادية في أكثر الأحايين قد سلكت طريقاً مناقضاً لما سلكته كتائب الإيمان والدعوة الإسلامية ، وإن المعارك التي كان يخوضها المسلمون في الأندلس لم تكن قاصرة على نصارى الشمال ، بل كانت تتجاوزها الى مناطق أوربية أخرى لعل من أهمها بلاد

الغال (فرنسا) . وقد دلت كثرة الغنائم التي حازوها على أن الأمر أعظم مما تستطيعه بلاد الجلالقة الجبلية القاحلة[١١٧].

وترى الباحثة عُلا أبو زيد أن السبب المباشر لهزيمة جيش المسلمين أمام الفرنجة في معركة بلاط الشهداء سنة ١١٤ هـ / ٧٣٢م ، هو انشغالهم بأمور دنياهم عن أمور دينهم ، متمثلاً ذلك بحرصهم على الغنائم التي تم تجميعها ووضعها في مؤخرة الجيش ، ومن ثم كانت هدفاً لهجمات جيش الفرنجة ، مما أحدث اضطراباً وخللاً في صفوف جيش المسلمين ، أدى في النهاية الى هزيمته ، كأنهم لم يتعظوا بدرس معركة أحد [١١٨] .

ولعل من الأمثلة الدالة على أهمية الغنائم وما تسببه من غنى لكثير من العرب المشاركين في الفتوح الأموية [١١٩] ، ما ذكره الطبري ومجموعة من المؤرخين من أن قتيبة بن مسلم الباهلي بعد أن صالح أهل السّغْد ، دعا نهار بن توسعة [١٢٠] ((فقال : يا نهار أين قولك :

ألا ذهب الغزو المقرب للغنى ومات الندى والجود بعد المهلبِ
أقاما بمرو الروذ رهن ضريحه وقد غيبا عن كل شرقٍ ومغربِ

أفغزو هذا يا نهار ، قال : لا ، هذا أحسن وأنا الذي أقولِ :

وما كان مُذ كنا ولا كان قبلنـا ولا هو فيما بعدنا كابن مُسلمِ
أعم لأهل الترك قتلاً بسيفه وأكثر فينا مقسماً بعد مَقسمِ))[١٢١]

وقال شاعرٌ آخر :

((كل يوم يحوى قتيبة نهباً ويزيد الأموال مالاً جديدا
باهلي قد ألبس التاج حتى شاب منه مفارق كن سودا))[١٢٢]

وفي بعض هذه الأبيات ورد ذكر المهلب بن أبي صفرة ، الذي يبدو انه أسهم مع أبنائه في غنى كثير من العرب المشاركين في الفتوحات التي تمت تحت قيادتهم . فالغزو هو الطريق الذي سلكه أل المهلب لنيل الشهرة والمغانم ، فعن طريقه يمكنهم تحقيق المكانة العالية المرموقة ، والثروات الطائلة التي تخضع إليهم الرقاب وتجمع من حولهم الأنصار [١٢٣] .

ومن الثابت أن الحكومة الأموية هي نظام ملكي وراثي ، بعيد كل البعد عن الديمقراطية . وسياسة التعصب التي سار عليها الأمويون للعنصر العربي وتفضيله على بقية العناصر الإسلامية هي خروج عن جوهر العدالة والمساواة التي نادى بها الإسلام [١٢٤] . فالحكم الأموي في حقيقة الأمر كان حكماً دنيوياً مادياً ، ولم يكن حكماً دينياً إسلامياً يساوي بين الناس ، ويكافئ من أحسن منهم عربياً كان أم مولى ، ويعاقب من أجرم منهم عربياً كان أم مولى . فالحكام لم يكونوا خدمة للرعية على حساب غيرهم . وكانت النزعة الجاهلية هي التي تسود العرب لا النزعة الإسلامية . فالحق والباطل كانا يختلفان تبعاً لاختلاف من صدر عنه العمل ، فان كان عربياً من قبيلة عُد عمله حقاً ، وإن كان مولى أو عربياً من

قبيلة أخرى عُد عمله باطلاً[١٢٥] . ويمكن تشبيه هذه السياسة التي انتهجها الأمويون في التمييز بين الحق والباطل بالفكرة التي تعرف الحق بالرجال وليس الرجال بالحق . وقد أورد الشريف المرتضى رواية طريفة عبر فيها عن إفلاس الأمويين من الحسنات يوم القيامة ، ونصها : ((قال رجل للحسن (البصري) : آخذ عطائي أم أدعه حتى آخذه من حسناتهم (الأمويين) يوم القيامة ؟ فقال له : قم ويحك خذ عطاءك ! فان القوم مفاليس من الحسنات يوم القيامة)) [١٢٦] .

ولا بأس أن يتضمن كلامنا حول أهمية العامل الاقتصادي في الفتوح الأموية ، الذي كان أيضاً وراء قيام الكثير من حركات المعارضة ضد الأمويين ، الإشارة الى دوره في عرقلة بعض الفتوح ولاسيما فتح المغرب الذي كان من أصعب الفتوحات الإسلامية وأطولها مقارنة بفتوح العهد الراشدي في العراق والشام ومصر [١٢٧] . الأمر الذي يعني وجود مقاومة شديدة للفاتحين الجدد . وقد كانت الأسباب الاقتصادية فعالة في هذا الجانب والتي تتضح من خلال سعي الفاتحين الى الغنائم ، والاستغلال الاقتصادي ، والرغبة في الاستحواذ على أعداد كبيرة من السبي . فأدى هذا العامل وغيره الى جعل الفتح الإسلامي غير محبذ من جانب فئة واسعة من المجتمع المغربي . فهل كان انتشار الإسلام هو الذي لم تحبذه تلك الفئة ، أم الوسيلة التي تم بها هذا الانتشار أم السياسة المتبعة من قبل الفاتحين ؟

بدءاً علينا أن نميز بين نوعين من الفتح هما : الفتح الإسلامي والفتح الأموي ، ولا نخلط بينهما . فكل فتح يتعارض مع تعاليم الإسلام وقيمه السمحاء هو فتح خارج عن الدين ولا يمت إليه بصلة ، وإنما يمثل الجهة القائمة به أو المنفذة له . وهذا أمر يمكن أن يكون نسبياً ، فكلما كان الابتعاد عن مفاهيم الدين كبيراً كلما تضاءلت إسلامية الفتح وأصبح نوعاً من أنواع التسلط شأنه في ذلك شأن كل متسلط يتخذ من الدين غطاءً له . وهنا يتجسد لنا مفهوم الإساءة في التطبيق ، وهو الأمر ذاته الذي أدى الى تأخر عملية فتح المغرب حتى بلغت ما يقارب سبعين عاماً[١٢٨] . ثم سرعان ما ثار البربر بعد مدة وجيزة من استكمال الأمويين فتح بلادهم ، فكانوا في طليعة الشعوب الإسلامية التي أعلنت انفصالها عن السلطة المركزية بتكوين دويلات مستقلة[١٢٩]. وبذلك يتبين لنا أن الفتح الأموي هو الذي كان غير محبذ وليس الفتح الإسلامي .

ولعل من المناسب أن نسجل هنا نصين بالغي الدلالة على صحة ما ذهبنا إليه من توتر
وتأزم العلاقة بين الفاتحين الأمويين وسكان البلاد من البربر ، والتي اتصفت بمقاومة الفتح الأموي ، الذي لم يتمكن من إخضاع البلاد إلا عن طريق القوة ، التي لم تكن وحدها كافية لإخضاع البلاد مدة طويلة ، ما لم تكن العلاقات بين الفاتحين والسكان مبنية على حسن المعاملة والاحترام المتبادل ، وبخلاف ذلك فان

الأمور لا تلبث أن تتأزم من جديد ، كما حصل ذلك لبربر المغرب الذين دانوا بمذهب الخوارج الصفرية والاباضية [١٣٠] ، وأفلحوا في تأسيس دول مستقلة سياسياً ومذهبياً عن مركز العالم الإسلامي في المشرق ، كما تجسد ذلك في دولتي بني طريف وبني مدرار الصفريتين في المغرب الأقصى ، ودولة بني رستم الاباضية في المغرب الأوسط [١٣١] . فقد لخص ابن خلدون ذلك الوضع المتصف بمقاومة البربر للفتح الأموي قائلاً : ((وقدم موسى بن نصير الى القيروان والياً على أفريقية ، ورأى ما فيها من الخلاف ، وكان ينقل العجم من الأقاصي الى الأداني وأثخن في البربر ودوخ المغرب وأدى إليه البربر الطاعة)) [١٣٢] . وقد ذهب الى الشيء ذاته في النص الثاني فقال : ((إن البربر ارتدوا اثنتي عشرة مرة من طرابلس الى طنجة ، ولم يستقر إسلامهم حتى أجاز طارق وموسى بن نصير الى الأندلس ، بعد أن دوخ المغرب وأجاز معه كثير من رجالات البربر وأمرهم برسم الجهاد . فاستقروا هنالك من لدن الفتح ، فحينئذ استقر الإسلام بالمغرب وأذعن البربر لحكمه ورسخت فيهم كلمة الإسلام وتناسوا الردة . ثم نبضت فيهم عروق الخارجية فدانوا بها ولقنوها من العرب الناقليها من منبعها بالعراق ، وتعددت طوائفهم وتشعبت طرقها من الاباضية والصفرية)) [١٣٣] .

هذا ولا يفوتنا التنويه أيضاً الى أن تأخر الفتح الأموي للمغرب ، لم يتأثر فقط بأوضاع هذه البلاد وسياسة الأمويين فيها ، بل تأثر أيضاً بأوضاع الأمويين في بلاد المشرق وانشغالهم بقمع حركات المعارضة ضدهم [١٣٤] . وقد أصبحت هنا علاقة جدلية واضحة تتلخص في انه كلما استقرت أوضاع الأمويين في بلاد المشرق كلما تقدمت حركة الفتوح في بلاد المغرب نحو الأمام وحققت نتائج إيجابية بالنسبة لهم ، مع الأخذ بنظر الاعتبار السياسة التي سار عليها قادة فتح المغرب ، والتي تفاوتت إن سلباً أو إيجاباً أو من حيث الشدة واللين . ولعل في هذا الكلام مغزى مهم ، يتمثل في أن سلطة الأمويين،إذا لم يكن مرغوباً بها في عقر دارهم أي مركز دولتهم، فكيف سيرغب بها سكان المناطق النائية كبلاد المغرب ، والذين عمهم ظلم الأمويين على الرغم من البعد الفاصل بينهم . وبعبارة أوضح ، فان من رُفض حكمهم في قلب العالم الإسلامي ، فكيف يتبجحون – أو يُتبجح لهم – في نشر الدين الإسلامي في مناطق أخرى متطرفة في الشرق والغرب ؟ ! .

وقد أورد الطبري وابن الأثير روايةً أوضحت أن أسباب خروج البربر على الأمويين ترجع الى ما حاق بهم من مظالم اقتصادية واجتماعية من جراء سوء سياسة بعض عمالهم ، ونصها : ((ثم لم يزل أهل أفريقية من أطوع أهل البلدان وأسمعهم الى زمان هشام بن عبد الملك حتى دب إليهم دعاة أهل العراق واستثاروهم فشقوا عصا الطاعة ، وفرقوا بينهم الى اليوم ، وكانوا يقولون : لا نخالف الأئمة بما تجني العمال ، فقالوا لهم : إنما يعمل هؤلاء بأمر أولئك ، فقالوا :

حتى نخبرهم ، فخرج ميسرة [١٣٥] في بضعة وعشرين رجلاً فقدموا على هشام فلم يؤذن لهم ، فدخلوا على الأبرش فقالوا : أبلغ أمير المؤمنين أن أميرنا يغزو بنا وبجنده فإذا غنمنا نفلهم ، ويقول هذا أخلص لجهادنا ، وإذا حاصرنا مدينة قدمنا وأخرهم ، ويقول هذا إزدياد في الأجر ، ومثلنا كفى إخوانه ، ثم إنهم عمدوا الى ماشيتنا فجعلوا يبقرون بطونها عن سخالها يطلبون الفراء الأبيض لأمير المؤمنين فيقتلون ألف شاة في جلد ، فاحتملنا ذلك ، ثم إنهم سامونا أن يأخذوا كل جميلة من بناتنا فقلنا : لم نجد هذا في كتاب ولا سنة ونحن مسلمون ، فأحببنا أن نعلم أعن رأي أمير المؤمنين هذا أم لا ؟ فطال عليهم المقام ونفدت نفقاتهم ، فكتبوا أسماءهم ودفعوها الى وزرائه وقالوا : إن سأل عنا أمير المؤمنين فأخبروه ، ثم رجعوا الى أفريقية فخرجوا على عامل هشام فقتلوه واستولوا على أفريقية ، وبلغ الخبر هشاماً فسأل عن النفر فعرف أسماءهم فإذا هم الذين صنعوا ذلك)) [١٣٦] .

وقد أوضح هذا النص مسؤولية الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك عما كان يرتكبه بعض ولاته على بلاد المغرب من مظالم اقتصادية واجتماعية بحق سكانها من البربر . وأكد محمود إسماعيل [١٣٧] إن ولاة المغرب كانوا ينفذون مشيئة الخلفاء الذين اعتادوا على اختيار عمال يأتمرون بأمرهم ، وإلا فبماذا تفسر سني الإصلاح التي شهدها المغرب أبان ولاية إسماعيل بن عبيد الله من قبل عمر بن عبد العزيز الذي حرص على اختيار عماله من العدول الأتقياء ومنهم إسماعيل هذا . ولعل مما يشير الى ما كان سائداً في العصر الأموي الأخير من طمع الخلفاء في أموال البربر وسباياهم ، ويؤكد مسؤولية الخلفاء الأمويين عما كان يرتكبه عمالهم في بلاد المغرب ، هو ما حدث فيما بعد من رفض المتغلب على أفريقية عبد الرحمن بن حبيب الفهري (١٢٧ – ١٣٧ هـ / ٧٤٤ – ٧٥٤م) الإذعان لمشيئة الخليفة العباسي الثاني أبي جعفر المنصور (١٣٦ – ١٥٨ هـ / ٧٥٣ – ٧٧٤م) ، الذي طالبه بما كان يطالب به الخلفاء الأمويون عمالهم في بلاد المغرب من الغنائم والسبي ، وقد تجسد هذا الرفض بقوله : ((أن أفريقية اليوم إسلامية كلها وقد انقطع السبي منها فلا تسألني ما ليس قبلي)) [١٣٨] .

ونضيف هنا أن طمع الخلفاء الأمويين في أموال البلاد المفتوحة لم يكن سائداً فقط في العصر الأموي الأخير ، بل أن ذلك يرجع الى عهد مؤسس الدولة معاوية بن أبي سفيان ، كما يتضح من الرواية التي أوردها ابن كثير ونصها ((وفي هذه السنة (٤٥ هـ) غزا الحكم بن عمرو نائب زياد على خراسان جبل الأسل عن أمر زياد فقتل منهم خلقاً كثيراً وغنم أموالاً جمة ، فكتب إليه زياد : أن أمير المؤمنين قد جاء كتابه أن يصطفي له كل صفراء وبيضاء – يعني الذهب والفضة – ويجمع كله من هذه الغنيمة لبيت المال . فكتب الحكم بن عمرو : أن كتاب الله مقدم على كتاب أمير المؤمنين ، وإنه والله لو كانت السموات والأرض على عدو فاتقى الله يجعل له مخرجاً ، ثم نادى في الناس : أن اغدوا على قسم

غنيمتكم ، فقسمها بينهم وخالف زياداً فيما كتب إليه عن معاوية . وعزل الخمس كما أمر الله ورسوله ثم قال الحكم : إن كان لي عندك خير فاقبضني إليك ، فمات بمرو من خراسان رضي الله عنه)) (١٣٩) .

وهذا يعني إن الأمويين منذ عهد معاوية كانوا ينظرون الى واردات الدولة ولاسيما الغنائم على إنها ((ملكاً خاصاً للخليفة ، وخاضعة لرقابته المطلقة ، وهكذا استطاع معاوية عندما ولى عمرو بن العاص مصر أن يهبه خراجها كله مكافأة له على مساعدته ضد الإمام علي)) (١٤٠) .

وكان ((عبد الملك بن مروان كثيراً ما يقول إذا جاءه فتوح موسى : لتهنئك الغلبة أبا الأصبع ، ثم يقول : عسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً)) (١٤١) . وهذا يدل على أن موسى بن نصير قد نجح في إرضاء الخليفة عبد الملك فضلاً عن أخيه عبد العزيز والي مصر ، اللذين أظهرا إعجابهما بحملاته الناجحة وما نجم عنها من غنائم كثيرة (١٤٢) . وبذلك تحول الفتح نحو وجهة مادية لا ترمي الى ضم البلاد وإدخالها في الإسلام بقدر ما تعني بالمغنم الحافل والمال الوفير(١٤٣).

وعبد الملك هذا كان قبل توليه الخلافة في عداد فقهاء المدينة ، وكان يسمى حمامة المسجد لإكثاره تلاوة القرآن ، ولكن لما توفي أبوه مروان ((وبُشر بالخلافة أطبق المصحف ،وقال : هذا فراق بيني وبينك ، وتصدى لأمور الدنيا))(١٤٤) . وهو بهذا يكون على العكس من ابن أخيه عمر بن عبد العزيز الذي زهد في الدنيا بعد توليه الخلافة (١٤٥) .

وأخيراً ربما هناك من يحاول التماس الأعذار للدولة الأموية ونزعتها المادية الاقتصادية ، من خلال الإشارة الى تبدل الأوضاع بإسلام قسم من أهل الذمة ، وما يستتبع ذلك من إعفائهم من ضريبتي الجزية والخوارج ، فضلاً عن تملك العرب الأراضي الخراجية ودفع العشر عنها بدل الخراج . يقابل ذلك ازدياد حاجة الدولة الأموية الى المال ، بغية إقرار الأوضاع الداخلية ، وسد نفقات البلاط المتعاظمة والمصروفة على أمور الترف والبذخ ، ناهيك عن توسع الجهاز الإداري وزيادة نفقاته (١٤٦) . كل ذلك أدى الى أن تكون الدولة الأموية بحاجة ماسة الى الأموال كي تتمكن من مسايرة هذه التطورات المختلفة وتحقيق مصالحها حتى لو كان في ذلك تعارضاً مع مصالح الإسلام (١٤٧) . فكل هذه التبريرات غير مقبولة لكونها جاءت معارضة لجوهر الإسلام ، الذي لا يقر الظلم بكافة أشكاله ، ذلك الظلم الذي مارسه الأمويون على نطاق واسع بحق الشعوب التي تسلطوا عليها ، دون أن يردعهم في ذلك رادع من دين يدينون به أو أخلاق يتخلقون بها ، فجعلوا مصالحهم في كفة ومصالح الإسلام وشعوبه في الكفة الأخرى . هذا الى أن الأمويين هم أنفسهم قد تسببوا في الكثير من هذه المشكلات إن لم يكن جميعها ، ومن ثم فليس من الجائز القول أن حاجة الدولة الأموية الملحة

الى الأموال من اجل سد النفقات المتزايدة للجيوش التي أرسلتها لقمع الثورات المتعددة التي اشتعلت ضدها في مناطق مختلفة ، يبرر الانتهاكات التي ارتكبها الأمويون في الجانبين الديني والاقتصادي . فهذه الثورات لم تكن لتحدث أو لتضاءل حدوثها على الأقل ، فيما لو كان الأمويون قد اتبعوا سياسة العدل والمساواة مع الشعوب التي حكموها . ومن ثم فان الأمويين من خلال انتهاكاتهم المتعددة لمبادئ الدين الإسلامي وقيمه السمحاء ، يكونون قد اتبعوا مبدأ الغاية تبرر الوسيلة . فالدين الإسلامي لا يعارض أية ممارسات اقتصادية تهدف الى تحقيق مصالح الأمة ككل ، لا أن تصب في مصلحة فئة محدودة تتمثل بالأسرة الأموية ورجالها المقربين ، في حين تهمل السواد الأعظم من الأمة ، لا بل إنها تعود بالضرر عليهم ، فهذا ما يأباه الإسلام بشكل قاطع من دون أدنى شك . ويبدو أن الأمويين قد اقتدوا في ذلك بسنة مؤسس دولتهم معاوية بن أبي سفيان الذي عرف الناس ((في زمانه فارقاً شاسعاً بين ولي الأمر الذي يتخذ الحكم خدمة للرعية وأمانة للخلق والخالق ، وشريعة لمرضاة الناس بالحق والأنصاف ، وبين الحكم الذي يحاط بالأبهة ويملي لصاحبه في البذخ والمتعة ويجعله قدوة لمن يقتدون به في السرف والمغالاة بصغائر الحياة)) (١٤٨).

الخاتمـــة : -

يمكن القول أن انتشار الإسلام كان بفعل نوعين من العوامل : أولهما العوامل الذاتية المتعلقة بالدين الإسلامي ذاته أي تعاليمه وقيمه السمحاء التي تهدف الى سعادة البشر وخيرهم . أما النوع الثاني فهي العوامل غير الذاتية المتمثلة بالطرق والوسائل المتبعة في نشر الدين . ومن دون شك فان العوامل الذاتية تعد أهم بكثير من العوامل الأخرى بدليل المعارضة التي واجهها الفتح الأموي لبعض المناطق كبلاد المغرب على سبيل المثال ، وذلك بسبب الخروج على جوهر الإسلام المتمثل بتعاليمه وقيمه السمحاء التي شكلت عوامل ذاتية لنشر الدين ، وهي أقوى من كل عوامل أخرى معارضة ، لا بل حتى الأساليب المتمشية مع تعاليم الدين في نشر الإسلام ، هي في حقيقة الأمر تستمد قوتها من جوهر الدين نفسه لا من أي شيء آخر . فانتشار الإسلام الصحيح كان ولا يزال بالحكمة والموعظة الحسنة ، لا بالقوة والظلم والاستغلال الاقتصادي ، كما فعل ذلك الأمويون الذين اقتدوا بأسلافهم الجاهليين ، فتشابهت أحوال الأجداد والأحفاد من حيث حب الزعامة والترف ومخالفة الدين في كثير من جوانب حياتهم ، لا بل أن الأخيرين قد فاقوا أسلافهم من حيث ممارستهم الظلم على نطاق أوسع ضد الشعوب التي تسلطوا عليها ، فعم ظلمهم المسلمين وغير المسلمين ، سواء أكان هذا الظلم سياسياً أم اقتصادياً أم اجتماعياً أم دينياً ، وسواء أكان أولئك المسلمون وغير المسلمين ، قد فُتحت بلدانهم قبل مجيء الأمويين الى سدة الحكم أم بعد مجيئهم . أي أن الأمويين قد عمدوا الى مباشرة الفتوح قبل أن يعمدوا الى تحسين

أوضاع الشعوب التي تسلطوا عليها من كافة الجوانب ، مخالفين بذلك حديث الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ((كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته ، فالإمام راعٍ وهو مسؤول عن رعيته . . .))(١٤٩) . وبعبارة أخرى فان الأمويين قد اهتموا بالفتح الخارجي على حساب الفتح الداخلي ، لأن في الأول تحقيق لمصالحهم المختلفة ومنها المصالح المادية ، أي أنهم استغلوا الفتوح لتحقيق أغراض مادية تصب في الدرجة الأولى في مصلحة الأسرة الحاكمة وأعوانها المقربين ، متجاهلين مصالح عموم الأمة . فكانوا بذلك مصدر نقمة للشعوب التي انضوت تحت لوائهم ، مخالفين قوله تعالى لرسوله الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) : { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ }(١٥٠) .

الهوامـــــش

(١) سورة سبأ ، الآية ٢٨
(٢) سورة النحل ، الآية ١٢٥
(٣) الموحي : حقوق الإنسان ، ص١٥٧ ، ١٥٨ .
(٤) ينظر : ابن اسحاق : السيرة ، ص١٥٤ ، ١٨٩ ــ ١٩٦ ؛ ابن هشام : السيرة النبوية ، ١ / ٢٥٨ ــ ٢٦٠ ، ٢٦٢ ، ٢٧٧ ــ ٢٧٩ .
(٥) سورة الحج ، الآية ٣٩ .
(٦) ينظر : ابن اسحاق ، السيرة ، ص١٤٤ وما بعدها ؛ ابن هشام ، السيرة النبوية ، ٣ / ١٠٨ ، ٢١٨ ؛ اليعقوبي : تاريخ ، ٢ / ٢٤ وما بعدها ، ٤٩ ، ٥٢ ــ ٥٣ ، ٥٦ ــ ٥٧ ؛ وينظر أيضاً: المصري : أثر أهل الكتاب ، ص١٠٨ ــ ١١٠ .
(٧) فلوتن : السيادة العربية ، ص٥ .
(٨) سورة البقرة : الآية ٢٥٦ .
(٩) حضارة العرب ، ص١٣٤ .
(١٠) م . ن والصفحة ؛ وينظر أيضاً : العبيدي : الفتوح العربية ، ص٢٩١ ــ ٢٩٢ .
(١١) الدوري : مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي ، ص١٥ ؛ وينظر أيضاً: العبيدي : م . ن ، ص٢٩٣ ــ ٢٩٤ .
(١٢) ناجي حسن : القبائل العربية ، ص٦٣ ــ ٦٤ .
(١٣) ينظر : الطبري : تاريخ ، ٣ / ١٣ ، ١٩ وما بعدها ؛ وعن السياسة المالية للرسول (ص) ينظر : قطب إبراهيم محمد : السياسة المالية للرسول ، ص١٠ وما بعدها .
(١٤) فتوح البلدان ، ص٧١ .
(١٥) حتي : تاريخ العرب (مطول) ، ١ / ٩٥ ــ ٩٦ .

(١٦) الدوري : مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي ، ص١٥ .
(١٧) ينظر : شعبان : صدر الإسلام والدولة الأموية ، ص٤٠ ، ٤٤ .
(١٨) ينظر : ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ٤ / ٧٥ ــ ٧٦ ؛ أبو الفداء : المختصر ، ١ / ١٨٦ ؛ وينظر أيضاً: الخضري : الدولة الأموية ، ص٣٥٩ .
(١٩) ينظر : زعرور واحمد : تاريخ العصر الأموي ، ص٢٢ .
(٢٠) سعيد بن المسيب : هو سعيد بن المسيب بن حَزْن بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم بن يقظة ، من تابعي أهل المدينة ومحدثيها وفقهائها ومفتيها . ولد في خلافة عمر بن الخطاب (١٣ ــ ٢٣ هـ / ٦٣٤ ــ ٦٤٣ هـ) وتوفي سنة ٩٤ هـ / ٧١٢م بعد أن جاوز عمره السبعين عاماً. ينظر : ابن سعد : الطبقات الكبرى، ٧ / ١١٩ ــ ١٤٣ ؛ ابن قتيبة : المعارف ، ص٤٣٧ ــ ٤٣٨ .
(٢١) اليعقوبي : تاريخ ، ٢ / ٢٣٢ .
(٢٢) م . ن والصفحة .
(٢٣) المستطرف ، ١ / ٩٠ ؛ وينظر أيضاً: الجاحظ : البيان والتبيين ، ١ / ٣٠٠ ؛ ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، ١ / ٧٠ ؛ صفوت : جمهرة خطب العرب ، ٢ / ٢٣٢ .
(٢٤) ينظر : اليعقوبي : تاريخ ، ٢ / ٢٤٣ ــ ٢٤٦ ؛ أبو الفرج الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ، ص٨٣ وما بعدها ؛ وينظر أيضاً: أبو زيد : الدولة الأموية ، ص٧٦ .
(٢٥) عن وقعة الحرة في المدينة ينظر : خليفة بن خياط : تاريخ ، ص١٤٧ ــ ١٥٥ ؛ اليعقوبي : م . ن ، ٢ / ٢٥٠ ــ ٢٥١ .
(٢٦) ينظر : م . ن ، ص١٥٦ ، ١٥٨ ؛ م . ن ، ٢ / ٢٥١ ــ ٢٥٢ .
(٢٧) كان قاضي ابن الزبير عبد الله بن عمير الليثي ، إذا توقف القتال بين الفريقين ، علا الكعبة ونادى بأعلى صوته : ((يا أهل الشام ! هذا حرم الله الذي كان مأمناً في الجاهلية يأمن فيه الطير والصيد ، فاتقوا الله ، يا أهل الشام ! فيصيح الشاميون : الطاعة الطاعة ! الكرة الكرة ! الرواح قبل المساء ! فلم يزل على ذلك حتى أحرقت الكعبة ، . . .)) اليعقوبي : تاريخ ، ٢ / ٢٥١ ــ ٢٥٢ .
(٢٨) زعرور واحمد : تاريخ العصر الأموي ، ص٢٢ ؛ عطوان : الموسوعة التاريخية ، ١١ / ٢٦٣ ــ ٢٦٩ .
(٢٩) ينظر : لويس : القوى البحرية والتجارية ، ص١٢٧ ، ١٢٩ ؛ شعبان : صدر الإسلام والدولة الأموية ، ص٩١ ، ١٣٢ ؛ بطاينة : الحياة الاقتصادية ، ص١٤٠ ــ ١٤٤ ؛ مصطفى : موسوعة دول العالم الإسلامي ورجالها ، ١ / ٧٧ .

(٣٠) معاوية بن حديج : - هو معاوية بن حديج الكندي ، اختلف المؤرخون حول تاريخ ولايته على أفريقية ، فيما إذا كان ذلك في أواخر عهد عثمان أم في عهد معاوية بن أبي سفيان سنة ٤٥ هـ / ٦٦٥م، كما اختلفوا في عدد غزواته أفريقية ، ولكنهم اتفقوا على فتحه بعض مدن أفريقية مثل جلولاء وبنزرت ، وقيامه بغزو جزيرة صقلية . ينظر : ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ، ص٢٢٠ – ٢٢١ ؛ ابن عذاري : البيان المغرب ، ١ / ١٦ – ١٩ ؛ ابن أبي دينار : المؤنس ، ص٣٩ – ٤١ .

(٣١) ابن عذاري : م . ن ، ١ / ١٦ – ١٧ .

(٣٢) موسى بن نصير : هو موسى بن نصير بن عبد الرحمن اللخمي ، اختلفت الروايات حول تاريخ ولايته على بلاد المغرب من قبل الأمويين ، إلا أنها اتفقت على انه استكمل فتح البلاد سنة ٩٠ هـ / ٧٠٩م ، ثم أرسل حملة عسكرية بقيادة طارق بن زياد لفتح الأندلس سنة ٩٢ هـ / ٧١١م ، بعد أن مهد لذلك بحملة طريف بن مالك الاستطلاعية سنة ٩١ هـ / ٧١٠م . ينظر : ابن عذاري : م . ن ، ١ / ٣٩ – ٤٦ ؛ النويري : تاريخ المغرب الإسلامي ، ص٢٠٠ – ٢٠٩ ؛ الباجي المسعودي : الخلاصة النقية ص١١ – ١٢ ؛ وينظر أيضاً: سعد زغلول ، تاريخ المغرب العربي ، ١ / ٢٤١ – ٢٦٢ .

(٣٣) الليث بن سعد : هو أبو الحارث ، مولى فهم من قيس عيلان ، من تابعي التابعين الذين سكنوا مصر ، ولد سنة ٩٤ هـ / ٧١٢م وتوفي سنة ١٧٥ هـ / ٧٩١ وقيل سنة ١٦٥ هـ / ٧٨١م . اشتهر بالفقه ورواية الحديث والإفتاء . ينظر : ابن سعد : الطبقات الكبير ، ٩ / ٥٢٤ ؛ ابن حبان : الثقات ، ٧ / ٣٦٠ – ٣٦١ .

(٣٤) النويري : تاريخ المغرب الإسلامي ، ص٢٠٠ .

(٣٥) نفح الطيب ، ١ / ٢٣٤ .

(٣٦) اليعقوبي : تاريخ ، ٢ / ٣١٨ ؛ وينظر أيضاً : ابن أبي دينار : المؤنس ، ص٥٣ – ٥٤ .

(٣٧) فتوح مصر والمغرب ، ص٢٤٥ ؛ وينظر أيضاً : ابن أبي دينار : م . ن والصفحات .

(٣٨) السوس الأقصى : يقع الى الجنوب من السوس الأدنى ، ويشمل الأراضي الجنوبية الغربية من منطقة المغرب الأقصى المطلة على المحيط الأطلسي . ينظر: ابن خرداذبة: المسالك والممالك ، ص٨٩ ؛ الزهري: كتاب الجغرافية ، ص١١٧-١١٨ .

(٣٩) ويقصد بالسودان هنا السودان الغربي أي افريقيا الغربية السوداء الواقعة جنوب الصحراء الكبرى وشمال المنطقة شبه الاستوائية . الغربي: بداية الحكم المغربي ، ص٢٣ ، هامش (١) .

(٤٠) تاريخ أفريقية والمغرب ، ص٧٢ ؛ وينظر أيضاً : ابن أبي دينار : المؤنس، ص٥٤ .
(٤١) حيث يشير احد الباحثين الى أن المهلب بن أبي صفرة أثناء ولايته على خراسان (٧٨ – ٨٢ هـ / ٦٩٧ – ٧٠١م) ظل مع أبناءه يقاتلون في هذه الجبهة أعداء الإسلام ، ولكن من اجل إخضاع البلاد لسيطرة الدولة الأموية (سلطان : آل المهلب ، ص٦٦) ، مما يدلل على أن الهدف الرئيس كان سياسياً،وإن ألبس الخصم ثوب أعداء الإسلام .وينظر أيضاً:بطاينة :الحياة الاقتصادية ، ص١٣٨؛ زعرور واحمد : تاريخ العصر الأموي ، ص٥٥ .
(٤٢) عن حب الأمويين للسلطة وعداوتهم مع بني هاشم ينظر: البلاذري: جمل من أنساب الأشراف١ / ٦٨ ؛ المقريزي:النزاع والتخاصم ؛ وينظر أيضاً: حاتم : زيد بن علي ، ص٣٠ – ٣١
(٤٣) تاريخ ، ٢ / ٢٣٤ .
(٤٤) م . ن ، ٢ / ٢٣٢ – ٢٣٣ .
(٤٥) البيان المغرب ، ١ / ٥٢ .
(٤٦) الخضري : الدولة الأموية ، ص٣٥٠ ؛ فروخ : تاريخ الفكر العربي ، ص١٩٩ ؛ العرب في حضارتهم وثقافتهم ، ص١٧٦ – ١٨٠ .
(٤٧) العقاد:معاوية بن أبي سفيان ، ص١١٤ ؛ وينظر أيضاً:الثعالبي: سقوط الدولة الأموية ، ص٤٥
(٤٨) العقاد : م . ن ، ص١١٥ .
(٤٩) الوردي : منطق ابن خلدون ، ص١٥٥ .
(٥٠) سورة سبأ ، الآية ٣٤ .
(٥١) سورة الزخرف ، الآية ٢٣ – ٢٤ .
(٥٢) ينظر : ابن طباطبا : الفخري ، ص١١٣ ، ١٣٤ ؛ أبو الفداء : المختصر ، ١ / ١٨٦ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ؛ ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ١ / ٧٣ ، ٩٧ – ٩٩ ؛ وينظر أيضاً: سيد أمير علي : مختصر تاريخ العرب ، ص١٨٧ ، ١٨٩ ؛ فروخ : العرب في حضارتهم وثقافتهم ، ص١٧٧ – ١٧٨ ؛ عطوان : الموسوعة التاريخية ، ١٩ / ٢١٩ – ٢٢٠ .
(٥٣) فروخ : م . ن ، ص١٦٣ .
(٥٤) الورداني : السيف والسياسة ، ص١١٦ .
(٥٥) سورة القصص ، الآية ٧٧ .
(٥٦) سورة الأعراف ، الآية ٣٢ .
(٥٧) اليعقوبي: تاريخ ، ٢ / ٢٣٨ ؛وينظر أيضاً: شعبان : صدر الإسلام والدولة الأموية ،ص٩٥ .
(٥٨) ينظر : الجنحاني : دراسات في التاريخ الاقتصادي ، ص٢٤ – ٢٥ ، ٢٧ .

(٥٩) حسان : هو حسان بن النعمان بن عدي بن بكر بن مغيث بن عمرو بن مزيقيا الغساني ، كان يلقب بالشيخ الأمين ، وقد اختلف المؤرخون حول تاريخ ولايته على أفريقية ما بين سنة ٦٩ هـ / ٦٨٨م ، أو ٧٣ هـ / ٦٩٢م ، أو ٧٨ هـ / ٦٩٧م ، أو ٧٩ هـ / ٦٩٨م . والراجح أن ولايته كانت بعد القضاء على حركة عبد الله بن الزبير سنة ٧٣ هـ / ٦٩٢م ، إذ تمكن عبد الملك بعدها من التفرغ لشؤون المغرب ، فأرسل حسان الى غزو أفريقية وتمكن من تحقيق نتائج ملموسة في عملية فتح المغرب بفتحه منطقة المغرب الأوسط ، كما قام بأعمال أخرى مهمة . ينظر : ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ، ص٢٢٨ – ٢٣٠ ؛ المالكي : رياض النفوس ، ١ / ٤٨ – ٥٧ ؛ ابن عذاري : البيان المغرب ، ١ / ٣٤ – ٣٩ ؛ الباجي المسعودي : الخلاصة النقية ، ص١٠ – ١١ .
(٦٠) رياض النفوس، ١ / ٥٧ ؛ وينظر أيضاً: الباجي المسعودي : الخلاصة النقية، ص١١ ولكنه يجعل مقدم حسان على الوليد بن عبد الملك .
(٦١) فتوح مصر والمغرب ، ص٢٣٠ .
(٦٢) مؤلف مجهول ، ص٣١ – ٣٢ .
(٦٣) البيان المغرب ، ١ / ٤٨ ؛ وينظر أيضاً: الرقيق القيرواني ، تاريخ أفريقية والمغرب ، ص٦٤، وعلى الرغم من أن الطبري والنويري والناصري قد ذكروا سبباً آخر لقتله ، إلا انه مع ذلك فكلا السببين كانا معبرين عن ظلمه . ينظر : تاريخ ، ٨/ ١٢٥ ؛ تاريخ المغرب الإسلامي ، ص٢١١ – ٢١٤ ؛ الاستقصا ، ١ / ٤٧ .
(٦٤) الفريجي : دولة بني طريف ، ص٢٧ – ٢٨ ؛ دولة بني مدرار ص٣٧ – ٣٩ .
(٦٥) تاريخ المغرب الإسلامي ، ص٢١٣ – ٢١٤ ؛ فيصل : المجتمعات الإسلامية ، ص٢٠٩ .
(٦٦) البيان المغرب ، ١ / ٥٢ .
(٦٧) الاستقصا ، ١ / ٤٨ .
(٦٨) الرقيق القيرواني : تاريخ أفريقية والمغرب ، ص٧٥ .
(٦٩) الوردي : وعاظ السلاطين ، ص٢٠٣ .
(٧٠) ينظر : أبو زيد : الدولة الأموية ، ص٧٦ .
(٧١) ينظر:الوردي: وعاظ السلاطين ، ص٢٠٣ – ٢٠٤ ؛ فيصل : المجتمعات الإسلامية ، ص٢٠٩ .
(٧٢) احمد شلبي : الدولة الأموية ، ص٧٦ .
(٧٣) ابن خلدون : تاريخ ، ٣ / ٧٨ .
(٧٤) الدوري : مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي ، ص١٤ .

(٧٥) الدولة الأموية ، ص٧٧ ؛ وينظر أيضاً: أبو زيد : الدولة الأموية ، ص٥٧ .
(٧٦) م . ن ، ص٩٦ ؛ وينظر أيضاً : أبو زيد : م . ن ، ص٩ حيث أشارت الى ان الدولة الأموية قد بلغت حدوداً لم تتجاوزها الدولة الإسلامية بعدها كدولة واحدة .
(٧٧) مؤنس : فتح العرب للمغرب ، ص٢٩٤
(٧٨) سوادي عبد محمد : دراسات في تاريخ المغرب العربي ، ص١٠٠ ، ١٠٢ ؛ والادارسة نسبة الى إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب (ع) ، الذي استطاع تأسيس دولة مستقلة عن العباسيين في المغرب الأقصى سنة ١٧٢هـ / ٧٨٨م ، ينظر : ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ، ص١٥ وما بعدها ؛ محمود إسماعيل : الادارسة ؛ نصر الله : دولة الادارسة في المغرب .
(٧٩) ابن أبي زرع:الانيس المطرب، ص٢٠ ، ٢١ ؛ وينظر أيضا:أبو دياك: الدولة الادريسية الهاشمية ، ص١١٦ ، ١١٧ ؛ عبد الواحد ذنون طه : دراسات في تاريخ وحضارة المغرب الإسلامي ، ص١١٠ ــ ١١١ ؛ محمود إسماعيل : الادارسة ، ص٦١ ؛ عبد الحليم : دولة بني صالح ، ص٢٤ ــ ٢٥
(٨٠) عبد الرؤوف : الدول الإسلامية المستقلة في الشرق ، ص٢٧ ؛ والزيديون نسبة الى زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (ع) ، واليه تنسب فرقة الزيدية إحدى فرق الشيعة . ينظر : حاتم : زيد بن علي ؛ الغراوي : الزيدية ، ص١٤١ وما بعدها .
(٨١) أبو يوسف: الخراج ، ص١٣١ ؛ وينظر أيضاً البلاذري : جمل من انساب الأشراف ، ٨ / ١٤٦
(٨٢) تاريخ،٨ / ٩٠ ؛ وينظر أيضا:ابن الأثير:الكامل، ٤ / ٣٢١ ؛ ابن خلدون : تاريخ ، ٣ / ٧٨ ــ ٧٩
(٨٣) أبو زيد : الدولة الأموية ، ص٥٥ .
(٨٤) الأذكياء ، ص٨٧ ، والضحاك بن مزاحم : هو أبو القاسم الضحاك بن مزاحم الهلالي ، صنفه ابن سعد ضمن الطبقة الثانية من تابعي الكوفة ، الذين رووا عن عبد الله بن عمرو عبد الله بن عباس وجابر ابن عبد الله وغيرهم ، رحل الى خراسان وأقام بها ، وتوفي سنة ١٠٥ هـ / ٧٢٣م . ينظر : الطبقات الكبرى ، ٨ / ٤١٧ ــ ٤١٩ .
(٨٥) اليعقوبي : تاريخ ، ٢/ ٣٠٦ .
(٨٦) م . ن ، ٢ / ٣١٣ ؛ ابن خلدون : تاريخ ، ٣ / ٧٩ .
(٨٧) المسعودي : مروج الذهب ، ٣ / ١٦٤ .

(٨٨) الدوري: مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي، ص٤٧ ــ ٤٨ ؛ وينظر أيضاً :زعرور واحمد : تاريخ العصر الأموي ، ص٩١ ؛ الثعالبي : سقوط الدولة الأموية ، ص٤٥ .
(٨٩) ما وراء النهر : - ويطلق على المنطقة الواقعة شرق نهر سيحون الى الشمال الشرقي من خراسان ، ويضم مدن عديدة من أهمها سمرقند وبخارى والصُغد . ينظر : ابن حوقل : صورة الأرض ، ص٤٥٩ وما بعدها ؛ وينظر أيضاً: الحديثي : أرباع خراسان ، ص٤٤٧ وما بعدها ؛ عبد الرؤوف : الدول الإسلامية في الشرق ، الخريطة بعد ص٨٠ .
(٩٠) تاريخ ، ٣ / ٩٠ .
(٩١) تاريخ ، ٨ / ٢٣٠ ؛ وينظر أيضاً: ابن خلدون : م . ن ، ٣ / ١٠١ .
(٩٢) الطبري : م . ن ، ٨ / ٢٩٢ ، وينظر أيضاً: البلاذري : جمل من أنساب الأشراف ، ٩ / ١٩٢ ؛ ابن الأثير : الكامل ، ٤ / ٣٧٩ ــ ٣٨٠ .
(٩٣) عبد الرحمن بن الأشعث : هو عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس الكندي ، كان أمير سجستان وقام بخلع عبد الملك بن مروان سنة ١٨٢ هـ / ٧٠١م ، إلا أن الحجاج تمكن من هزيمته في موقعة دير الجماجم وثم قتله سنة ٨٤ هـ / ٧٠٣م . ينظر:الصفدي:الوافي بالوفيات ، ١٨ / ١٣٤ ــ ١٣٥
(٩٤) بيضون : ملامح التيارات السياسية ، ص٢٥٤ .
(٩٥) صدر الإسلام والدولة الأموية ، ص١٣٦ .
(٩٦) الطبري : تاريخ ، ٦ / ١٠٩ .
(٩٧) جاسم صكبان علي : دراسات في التاريخ العربي ، ص٨٢ ؛ الرواضية : زياد بن أبيه ، ص١٤٤ ــ ١٤٥ ، ١٥٤ .
(٩٨) عبد الحليم : دولة بني صالح ، ص٣٢ .
(٩٩) ماجد : التاريخ السياسي ، ٢ / ٣٠ ــ ٣١ .
(١٠٠) لوبون : حضارة العرب ، ص١٣٩ .
(١٠١) سورة الحجرات ، الآية ١٣
(١٠٢) اليوزبكي : دراسات في النظم ، ص١٧٤ ــ ١٧٦ ؛ جودة : العرب والأرض ، ص١٤٣
(١٠٣) ماجد : التاريخ السياسي ، ٢ / ٩٤ .
(١٠٤) غلوب : الفتوحات العربية الكبرى ، ص٦١٨ ؛ ماجد : م . ن ، ٢ / ٢٢ ؛ الدوري : النظم الإسلامية ، ١ / ٤٣ ؛ دكسن : من سمات العصر الأموي ، ص١٦٥ .
(١٠٥) سيد أمير علي : مختصر تاريخ العرب ، ص٨٤ ؛ حمادة : الوثائق السياسية ، ص٣٠ ؛ ناجي حسن : القبائل العربية ، ص٦٦ ؛ أبو زيد : الدولة الأموية ، ص٥١ ، ٥٢ ؛ دكسن : من سمات العصر الأموي ، ص١٦٨ .

(١٠٦) اليوزبكي : دراسات في النظم ، ص٤١ .
(١٠٧) الدوري : النظم الإسلامية ، ١/ ٤٣ .
(١٠٨) حمادة : الوثائق السياسية ، ص٣٠ ؛ زعرور واحمد : تاريخ العصر الأموي : ص٤١ ؛ دكسن : من سمات العصر الأموي ، ص١٦٧ ـ ١٦٨ .
(١٠٩) وقد أورد شعبان مثالاً عن البصريين حيث أشار قائلاً : ((كما كانوا أقل استعداداً للقيام بحملة على جبهة سجستان لقلة ما توفره من غنائم)) . صدر الإسلام والدولة الأموية ، ص٩٨ .
(١١٠) جب : دراسات في حضارة الإسلام ، ص٥٧ .
(١١١) الجغرافية التاريخية ، ص٣٠ ؛ وينظر أيضاً : شعبان : صدر الإسلام والدولة الأموية ، ص٩٢ .
(١١٢) الإمامة والسياسة ، ٢ / ٥٤ .
(١١٣) عبد العزيز : هو عبد العزيز بن مروان ، أخ الخليفة عبد الملك كان يلي ولاية مصر وهو الذي نصب موسى بن نصير على ولاية المغرب . ينظر : الكندي : الولاة والقضاة ، ص٣٩ ـ ٤٥ .
(١١٤) الإمامة والسياسة ، ٢ / ٥٥ ـ ٥٦ .
(١١٥) نفح الطيب ، ١ / ٢٥٩ ؛ وينظر أيضاً : اشتيوي : الأندلس في عصر الولاة ، ص١٧٧
(١١٦) مصطفى : الأندلس في التاريخ ، ص١١٦ .
(١١٧) عويس : التكاثر المادي ، ص٦ ـ ٧ .
(١١٨) الدولة الأموية ، ص٦٦ .
(١١٩) زعرور واحمد : تاريخ العصر الأموي ، ص٩٣ .
(١٢٠) نهار بن توسعة : هو نهار بن توسعة بن أبي عتبان ، من بكر بن وائل ، من بني حَنْتَم ، وكان أشعر بكر بخراسان . ينظر : ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، ١ / ٥٣٧ ـ ٥٣٨ .
(١٢١) تاريخ ، ٨ / ٤٢ ؛ وينظر أيضاً : الزبير بن بكار : الأخبار الموفقيات ، ص٣٢١ ؛ ابن قتيبة م . ن ، ١ / ٥٣٨ ؛ ابن الأثير : الكامل ، ٤ / ٢٧٦ ؛ أما ابن أعثم (الفتوح ، ٧ / ١٥٩) فيجعل قائل هذه الأبيات كعب ابن معدان الأشقري .
(١٢٢) الطبري : م . ن والصفحة ؛ ابن الأثير : م . ن ، ٤ / ٢٧٦ ـ ٢٧٧ .
(١٢٣) سلطان : آل المهلب ، ص٨٦ .
(١٢٤) محمود إسماعيل : الحركات السرية ، ص ٨ ؛ زعرور وأحمد : تاريخ العصر الأموي ، ص٢٢ .
(١٢٥) احمد أمين : ضحى الإسلام ، ١ / ٢٧ .
(١٢٦) أمالي المرتضى ، ١ / ١٧٢ .

(١٢٧) ينظر : مؤنس : فتح العرب للمغرب ، ص٢٦٨ ــ ٢٦٩ ؛ سوادي عبد محمد : دراسات في تاريخ المغرب العربي ، ص١٧ ــ ٢٤ .
(١٢٨) سوادي عبد محمد : م . ن ، ص١٧ .
(١٢٩) ينظر : الفريجي : دولة بني طريف ، ص٢٧ ــ ٢٨ ؛ دولة بني مدرار ، ص٣٧ ــ ٣٩
(١٣٠) عن انتشار مذهب الخوارج الصفرية والاباضية ينظر : محمود إسماعيل : الخوارج في بلاد المغرب ، ص٤٢ ــ ٥٧ .
(١٣١) ينظر : الفريجي : دولة بني طريف ، ص٢٧ ــ ٢٨ ؛ دولة بني مدرار ، ص٣٧ ــ ٣٩
(١٣٢) تاريخ ، ٦ / ١١١ .
(١٣٣) تاريخ ، ١١١/٦.
(١٣٤) مؤنس : فتح العرب للمغرب ، ص٢٦٨ .
(١٣٥) ميسرة : هو ميسرة المدغري أو المطغري نسبة الى قبيلة مطغرة البربرية المستوطنة إقليم طنجة من المغرب الأقصى ، اعتنق مذهب الخوارج الصفرية وتزعم أول ثورة بربرية كبرى في سنة ١٢٢ هـ / ٧٣٩م تمكنت من تحقيق الاستقلال بالمغرب الأقصى عن سلطة الأمويين . ينظر : ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ، ص٢٤٦ ؛ الرقيق القيرواني : تاريخ أفريقية والمغرب ، ص٧٣ ــ ٧٤ ؛ ابن عذاري : البيان المغربي ، ١ / ٥٢ ــ ٥٣ .
(١٣٦) تاريخ ، ٥ / ٩٤ ؛ الكامل ، ٢ / ٤٨٥ ــ ٤٨٦ .
(١٣٧) الخوارج في بلاد المغرب ، ص٣٦ ــ ٣٧ ، ٣٨ .
(١٣٨) الرقيق القيرواني : تاريخ أفريقية والمغرب ، ص٩٦ ؛ وينظر أيضاً : ابن عذاري ، ١ / ٦٧ ؛ النويري : تاريخ المغرب الإسلامي ، ص٢٢١ ؛ الباجي المسعودي : الخلاصة النقية ، ص١٦
(١٣٩) البداية والنهاية ، ٨ / ٢٠٧٠ ــ ٢٠٧١ .
(١٤٠) سيد أمير علي : مختصر تاريخ العرب ، ص١٧٩ ؛ وعن مكافأة معاوية لعمرو بن العاص بمنحه ولاية مصر ، ينظر : اليعقوبي : تاريخ ، ٢ / ٢٢١ ؛ الكندي : الولاة والقضاة ، ص٢٦ .
(١٤١) ابن قتيبة : الإمامة والسياسة ، ٢ / ٧٩ .
(١٤٢) عبد الواحد ذنون طه : الفتح والاستقرار ، ص١٣٢ .
(١٤٣) مؤنس : فتح العرب للمغرب ، ص٢٦٩ ، وينظر أيضاً: ص٢٦٥ .
(١٤٤) ابن طباطبا : الفخري ، ص١٢٢ ؛ وينظر أيضاً: القلقشندي : مآثر الإنافة ، ١ / ١٧٢ .
(١٤٥) ينظر : ابن الجوزي : سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز ، ص١٣٦ ــ ١٤٢ .

(١٤٦) الدوري : النظم الإسلامية ، ص١٣٧ ؛ وينظر أيضاً: الجنحاني : دراسات في التاريخ الاقتصادي ، ص٢٣ ؛ شعبان : صدر الإسلام والدولة الأموية ، ص٩١ .
(١٤٧) جب : دراسات في حضارة الإسلام ، ص٤٦ .
(١٤٨) العقاد : معاوية بن أبي سفيان ، ص١٢٦ ؛ وينظر أيضاً: قطب إبراهيم محمد : السياسة المالية للرسول (ص) ، ص١٠ .
(١٤٩) السيوطي : الجامع الصغير ، ٢ / ٢٨٩ ؛ وينظر أيضاً: أبو داود : السنن ، ٢ / ١٣ .
(١٥٠) سورة الأنبياء ، الآية ١٠٧ .

مصادر ومراجع البحث

- القرآن الكريم
أولاً- المصادر
الابشيهي ، شهاب الدين محمد بن احمد (ت ٨٥٠ هـ / ١٤٤٦م)
١ – المستطرف في كل فن مستظرف ، ط ١، دار الندى ، بيروت ٢٠٠٤م .
ابن الأثير ، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم (ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢م)
٢ – الكامل في التاريخ ، راجعه وصححه محمد يوسف الدقاق ، ط ٤ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ٢٠٠٦م .
ابن اسحاق ، محمد بن اسحاق المطلبي (ت ١٥١ هـ / ٧٦٩م)
٣ – سيرة ابن اسحاق المسماة بـ (كتاب السير والمغازي) ، تحقيق سهيل زكار ، ط ١ ، دار الفكر ، بيروت ١٩٧٨ .
ابن اعثم ، أبو محمد احمد الكوفي (ت ٣١٤ هـ / ٩٢٦م)
٤ – كتاب الفتوح ، تحقيق علي شيري ، ط ١ ، دار الأضواء ، بيروت ١٩٩١م .
الباجي المسعودي ، أبو عبد الله الشيخ محمد (ت ١٢٥٣ هـ / ١٨٣٧م)
٥ – الخلاصة النقية في أمراء أفريقية ، ط ٢ ، مطبعة بيكار وشركائه ، تونس ١٩٠٥م .
البلاذري ، احمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩ هـ / ٨٩٢م)
٦ – جمل من أنساب الأشراف ، تحقيق سهيل زكار ، ط ١ ، دار الفكر ، بيروت ١٩٩٦م .

٧ – فتوح البلدان ، وضع حواشيه عبد القادر محمد علي ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ٢٠٠٠م
الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥ هـ / ٨٦٨م)
٨ – البيان والتبيين ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ، ط ٧ ، الناشر مكتبة الخانجي ، القاهرة ١٩٩٨ .
ابن الجوزي ، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠م)
٩ – الأذكياء ، تحقيق وتعليق عادل عبد المنعم ، مكتبة القرآن ، القاهرة (د . ت)
١٠ – سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز ، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد ، ط ١ ، دار ابن خلدون ، الاسكندرية ١٩٩٦م .
ابن حبان ، محمد بن حبان بن احمد البستي (ت ٣٥٤ هـ / ٩٦٥م)
١١ – كتاب الثقات ، ط ١ ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد الدكن – الهند ١٩٧٣م
ابن حوقل ، أبو القاسم محمد بن علي النصيبي (ت بعد ٣٦٧ هـ / ٩٧٧م)
١٢ – صورة الأرض ، مطبعة بريل ، ليدن ١٩٣٨م .
ابن خرداذبة ، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت في حدود ٣٠٠هـ/٩١٢م)
١٣- المسالك والممالك ، مطبعة بريل ، ليدن ١٨٨٩م ، أعادت طبعه بالاوفسيت مكتبة المثنى ببغداد .
ابن الخطيب ، لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله الغرناطي (ت ٧٧٦ هـ / ١٣٧٤م)
١٤ – أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يتعلق بذلك من الكلام ، تحقيق سيد كسروي حسن ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ٢٠٠٣م .
ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥م)
١٥ – تاريخ ابن خلدون المسمى ((العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر)) ، تصحيح وتعليق تركي فرحان المصطفى ، ط ١ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ١٩٩٩م .
خليفة بن خياط ، أبو عمرو خليفة بن خياط بن هبيرة الليثي العصفري (ت ٢٤٠ هـ / ٨٥٣ م)
١٦ – تاريخ خليفة بن خياط ، راجعه وضبطه مصطفى نجيب وحكمت كشلي ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٩٥م .
ابو داود ، سليمان بن الأشعث السجستاني (ت ٢٧٥ هـ / ٨٨٨م)

١٧ – سنن أبي داود ، تحقيق وتعليق سعيد محمد اللحام ، ط ١ ، دار الفكر ، بيروت ١٩٩٠م .
ابن أبي دينار ، محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني (ت بين أواخر القرن الحادي عشر الهجري وأوائل القرن الثاني عشر / السابع عشر الميلادي)
١٨ – المؤنس في أخبار أفريقية وتونس ، ط ٣ ، دار المسيرة ، بيروت ١٩٩٣م .
الرقيق القيرواني ، أبو اسحاق إبراهيم بن القاسم (كان حياً سنة ٤١٧ هـ / ١٠٢٦م)
١٩ – تاريخ أفريقية والمغرب ، تحقيق عبد الله العلي الزيدان وعز الدين عمر موسى ، ط ١ ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ١٩٩٠م .
الزبير بن بكار (ت ٢٥٦ هـ / ٨٦٩م)
٢٠– الأخبار الموفقيات ، تحقيق سامي مكي العاني ، ط ٢ ، عالم الكتب ، بيروت ١٩٩٦ م .
ابن أبي زرع ، أبو الحسن علي بن عبد الله الفاسي (ت بعد ٧٢٦ هـ / ١٣٢٦م)
٢١ – الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، دار المنصور للطباعة والوراقة ، الرباط ١٩٧٢م .
الزهري ، ابو عبدالله محمد بن ابي بكر (ت اواسط القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي)
٢٢- كتاب الجغرافية ، تحقيق محمد حاج صادق ، المعهد الفرنسي بدمشق للدراسات العربية ، دمشق ١٩٦٨م .
ابن سعد ، محمد بن سعد بن منيع الزهري (ت ٢٣٠ هـ / ٨٤٤م)
٢٣ – كتاب الطبقات الكبير ، تحقيق علي محمد عمر ، ط ١ ، الناشر مكتبة الخانجي ، القاهرة ٢٠٠١م
السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١ هـ / ١٥٠٥م)
٢٤ – الجامع الصغير ، ط ١ ، دار الفكر ، بيروت ١٤٠١ هـ / ١٩٨٠م
الشريف المرتضى ، علي بن الحسين (ت ٤٣٦ هـ / ١٠٤٤م)
٢٥ – أمالي المرتضى – غُرر الفوائد ودُرر القلائد ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط ١ ، قم ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤م .
الصفدي ، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت ٧٦٤ هـ / ١٣٦٢م)
٢٦ – الوافي بالوفيات ، تحقيق احمد الارناووط وتركي مصطفى ، ط ١ ، دار إحياء التراث العربي، بيروت ٢٠٠٠م .
ابن طباطبا ، محمد بن علي المعروف بابن الطقطقي (ت ٧٠٩ هـ / ١٣٠٩م)
٢٧ – الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية ، دار صادر ، بيروت (د . ت) .
الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ / ٩٢٢م)

٢٨ ــ تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك) ، تقديم ومراجعة صدقي جميل العطار ، ط ٢ ، دار
الفكر ، بيروت ٢٠٠٢م .
ابن عبد الحكم ، عبد الرحمن بن عبد الله (ت٢٥٧ هـ / ٨٧١م)
٢٩ ــ فتوح مصر والمغرب ، تحقيق وتقديم علي محمد عمر ، الناشر مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ٢٠٠٤م .
ابن عبد ربه ، أحمد بن محمد الاندلسي (ت٣٣٨ هـ / ٩٤٩م)
٣٠- العقد الفريد ، ط٣ ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، ١٩٩٩م .
ابن عذاري ، أبو عبد الله محمد المراكشي (ت بعد ٧١٢ هـ / ١٣١٢م)
٣١- البيان المغرب في اخبار الأندلس والمغرب ، تحقيق : ج.س كولان وليفي بروفنسال ، ط٣ ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٨٣م .
ابو الفداء ، عماد الدين اسماعيل بن علي (ت٧٣٢ هـ / ١٣٣١م)
٣٢- المختصر في اخبار البشر ، مكتبة المتنبي ، القاهرة ، (د.ت) .
ابو الفرج الاصفهاني ، علي بن الحسين (ت٣٥٦ هـ / ٩٦٧م)
٣٣- مقاتل الطالبيين ، شرح وتحقيق السيد أحمد صقر ، ط١ ، دار المعرفة ، بيروت ، ٢٠٠٥م .
ابن قتيبة ، ابو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (ت٢٧٦ هـ / ٨٨٩م)
٣٤- الامامة والسياسة ، تحقيق : طه محمد الزيني ، الناشر مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٩٦٧م .
٣٥- الشعر والشعراء ، تحقيق وشرح احمد محمد شاكر ، دار المعارف ، القاهرة ، (د.ت) .
٣٦- المعارف ، تحقيق وتقديم ثروت عكاشة ، ط٤ ، دار المعارف ، القاهرة ، (د.ت) .
القلقشندي ، ابو العباس احمد بن علي (ت٨٢١ هـ / ١٤١٨م)
٣٧- مآثر الإنافة في معالم الخلافة ، تحقيق عبد الستار احمد فراج ، عالم الكتب ، بيروت ، (د.ت) .
ابن كثير ، ابو الفداء أسماعيل بن عمر الدمشقي (ت٧٧٤ هـ / ١٣٧٢م)
٣٨- البداية والنهاية ، راجع نصه وضبطه وقدم له سهيل زكار ، ط١ ، دار صادر ، بيروت ، ٢٠٠٥م .

الكندي ، ابو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب (ت٣٥٣ هـ / ٩٦٤م)
٣٩- الولاة والقضاة ، تحقيق محمد حسن وأحمد فريد ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠٠٣م .
المالكي ، ابو بكر عبد الله بن محمد (ت٤٥٣ هـ / ١٠٦١م)

٤٠- رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وافريقية وزهادهم ونساكهم وسير من اخبارهم وفضائلهم وأوصافهم ، تحقيق بشير البكوش ، مراجعة محمد العروسي المطوي ، ط٢ ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، ١٩٩٤م .
المسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسين (ت٣٤٦ هـ / ٩٥٧م)
٤١- مروج الذهب ومعادن الجوهر ، اعتنى بفهارسه يوسف البقاعي ، ط١ ، دار احياء التراث العربي، بيروت ، (د.ت) .
المقري ، احمد بن محمد (ت١٠٤١ هـ / ١٦٣١م)
٤٢- نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، تحقيق احسان عباس ، ط٢ ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٩٧ م .
المقريزي ، تقي الدين أحمد بن علي (ت٨٤٥ هـ / ١٤٤١م)
٤٣- النزاع والتخاصم فيما بين بني أمية وبني هاشم ، تقديم السيد محمد بحر العلوم ، منشورات المكتبة الحيدرية ، النجف الأشرف ، ١٩٦٦م .
مؤلف مجهول (ت في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي)
٤٤- أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر امرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها بينهم ، مدريد ، ١٨٦٧م .
النويري ، شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب (ت٧٣٢ هـ / ١٣٣٢م)
٤٥- تاريخ المغرب الاسلامي (وهو الجزء الثاني والعشرون من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب)، تحقيق وتعليق مصطفى ابو ضيف احمد ، دار النشر المغربية ، الدار البيضاء ، ١٩٨٥م .
ابن هشام ، ابو محمد عبد الملك بن هشام المعافري (ت٢١٨ هـ / ٨٣٣م)
٤٦- السيرة النبوية ، تقديم وتعليق وضبط طه عبد الرؤوف سعد ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٧٥م .

اليعقوبي ، احمد بن ابي يعقوب (ت بعد ٢٩٢ هـ / ٩٠٥م)
٤٧- تاريخ اليعقوبي ، ط١ ، منشورات المكتبة الحيدرية ، قم ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٥م .
ابو يوسف ، يعقوب بن ابراهيم (ت١٨٠ هـ / ٧٩٨ م)
٤٨- الخراج ، ط٤ ، المطبعة السلفية ، القاهرة ، ١٩٧٢م .

ثانياً – المراجع :

احمد أمين
١- ضحى الاسلام ، ط٦ ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٦١ م .
احمد شلبي

٢- الدولة الأموية والحركات الفكرية والثورية خلالها (وهو الجزء الثاني من موسوعة التاريخ الاسلامي) ، ط٦ ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٨٢م .
اشتيوي ، أشرف يعقوب أحمد
٣- الأندلس في عصر الولاة ٩١ ــ ١٣٨ هـ / ٧١١ ــ ٧٥٦م ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الدراسات العليا ، جامعة النجاح الوطنية ، نابلس ، ٢٠٠٤م .
بطاينة ، محمد ضيف الله
٤- الحياة الاقتصادية في العصور الاسلامية الاولى ، دار الكندي ، الاردن (د.ت)
بيضون ، ابراهيم
٥- ملامح التيارات السياسية في القرن الاول الهجري ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٧٩م .
الثعالبي ، عبد العزيز
٦- سقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية (١٣٢ هـ / ٧٥٠م) ، تقديم وتحقيق حمادي الساحلي ، ط١ ، دار الغرب الاسلامي ، ١٩٩٥م .
جاسم صكبان علي
٧- دراسات في التاريخ العربي من خلافة ابي بكر حتى سقوط الدولة الأموية ، طبع بمطابع جامعة الموصل ، ١٩٨٥م .

جب ، هاملتون
٨- دراسات في حضارة الاسلام ، ترجمة احسان عباس وآخرين ، ط٢ ، دار العلم للملايين ، بيروت، ١٩٧٤م .
الجنحاني ، الحبيب
٩- دراسات في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للمغرب الاسلامي ، ط٢ ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، ١٩٨٦م .
جودة ، جمال محمد داود محمد
١٠- العرب والأرض في العراق في صدر الاسلام ، الشركة العربية للطباعة والنشر ، عمان ، ١٩٧٩م .
حاتم ، نوري
١١- زيد بن علي ومشروعية الثورة عند أهل البيت (عليهم السلام) ، ط٢ ، الغدير للدراسات والنشر، بيروت ، ١٩٩٥م .
حتي ، فليب وآخرون
١٢- تاريخ العرب (مطول) ، ط٤ ، دار الكشاف ، بيروت ، ١٩٦٥م .
الحديثي ، قحطان عبد الستار

١٣- أرباع خراسان الشهيرة دراسة في أحوالها الجغرافية والادارية والاقتصادية حتى نهاية القرن الرابع للهجرة ، مطابع دار الحكمة للطباعة والنشر ، جامعة البصرة ١٩٩٠م .
حمادة ، محمد ماهر
١٤- الوثائق السياسية والادارية العائدة للعصر الأموي ، دار النفائس ، بيروت ، (د.ت) .
الخضري ، محمد
١٥- محاضرات في تاريخ الأمم الاسلامية – الدولة الاموية ، تحقيق الشيخ محمد العثماني ، شركة دار الأرقم بن ابي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، (د.ت) .
دكسن ، عبد الأمير عبد
١٦- من سمات العصر الأموي وملامحه العامة ، بحث في كتاب دراسات تاريخية مهداة الى عبد العزيز الدوري ، من منشورات الجامعة الأردنية ، عمان (د.ت) .
الدوري ، عبد العزيز
١٧- مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي ، ط٣ ، دار الطليعة ، بيروت ، ١٩٨٠ م .
١٨- النظم الاسلامية ، ط١ ، بغداد ، ١٩٥٠م .
أبو دياك ، صالح محمد فياض
١٩- الدولة الادريسية الهاشمية ودورها السياسي والحضاري في المغرب في عهدي الأمامين أدريس الأول وادريس الثاني ، مجلة المؤرخ العربي ، العدد (٤٣) ، السنة (١٦) ، بغداد ، ١٩٩٠م .
الرواضية ، صالح محمد
٢٠- زياد بن ابيه ودروه في الحياة العامة في صدر الإسلام ، ط١ ، الاردن ، ١٩٩٤ .
زعرور ، ابرهيم واحمد ، علي
٢١- تاريخ العصر الأموي السياسي والحضاري ، منشورات جامعة دمشق ، ١٩٩٥ – ١٩٩٦ .
ابو زيد ، علا عبد العزيز
٢٢- الدولة الأموية .. دولة الفتوحات ٤١ – ١٣٢ هـ / ٦٦١ – ٧٥٠م ، ط١ ، المعهد العالمي للفكر الاسلامي ، القاهرة ، ١٩٩٦ م .
سعد زغلول
٢٣- تاريخ المغرب العربي ، منشأة المعارف ، الاسكندرية ، ٢٠٠٤م .
سلطان ، عبد المنعم عبد الحميد

٢٤- آل المهلب في المشرق الاسلامي ودورهم السياسي والحربي حتى سقوط الدولة الأموية ، مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ، ١٩٩٠م .
سوادي عبد محمد
٢٥- دراسات في تاريخ المغرب العربي من القرن الثالث الهجري حتى القرن العاشر الهجري ، مطبعة التعليم العالي ، البصرة ، ١٩٨٩م .
سيد أمير علي
٢٦- مختصر تاريخ العرب،تعريب عفيف البعلبكي ، ط٢ ، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦٧م .
شعبان ، محمد عبد الحي محمد
٢٧- صدر الاسلام والدولة الأموية ، الأهلية للنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٩٨٧م .
صفوت ، أحمد زكي
٢٨- جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة ـ العصر الأموي ، ط١ ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر ١٩٣٣م .
عبد الحليم ، رجب محمد
٢٩- دولة بني صالح في تامسنا بالمغرب الأقصى (١٢٥ ـ ٤٥٥هـ / ٧٤٣ ـ ١٠٦٣م) ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، الفجالة (د.ت) .
عبد الرؤوف ، عصام الدين
٣٠- الدول الاسلامية المستقلة في الشرق ، دار الفكر العربي ، القاهرة (د.ت) .
عبد الواحد ذنون طه
٣١- دراسات في تاريخ وحضارة المغرب الاسلامي ، ط١ ، دار المدار الاسلامي ، بيروت ، ٢٠٠٤م.
٣٢ الفتح والاستقرار العربي الاسلامي في شمال افريقيا والاندلس ، ط١ ، دار المدار الاسلامي ، بيروت ، ٢٠٠٤م .
العبيدي ، عبد الجبار منسي
٣٣- الفتوح العربية ـ الاسلامية ودوافعها ، مجلة المؤرخ العربي ، العدد (١٤) ، بغداد ، ١٩٨٠ .
عطوان ، حسين
٣٤- الموسوعة التاريخية للعصرين الأموي والعباسي ، ط١ ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٨٦م .
العقاد ، عباس محمود
٣٥- معاوية بن أبي سفيان ، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، (د.ت) .
عويس ، عبد الحليم

٣٦- التكاثر المادي وأثره في سقوط الأندلس ، ط١ ، دار الصحوة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ، ١٩٩٤
الغراوي ، سامي الغريري
٣٧- الزيدية بين الإمامية وأهل السنة – دراسة تاريخية تحليلية في نشأتها وظهورها وعقائدها وفرقها ، ط١ ، دار الكتاب الاسلامي ، قم ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٦م .

الغربي ، محمد
٣٨- بداية الحكم المغربي في السودان الغربي ، دارالرشيد للنشر ، بغداد ١٩٨٢ .
غلوب ، جون باجوت
٣٩- الفتوحات العربية الكبرى ، تعريب وتعليق خيري حماد ، منشورات مكتبة المثنى ، بغداد ، (د.ت) .
فروخ ، عمر
٤٠- تاريخ الفكر العربي الى ايام ابن خلدون ، ط٣ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨١م .
٤١- العرب في حضارتهم وثقافتهم الى آخر العصر الأموي، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦٦م .
الفريجي ، علي صدام نصر الله
٤٢- دولة بني طريف البرغواطيين في تامسنا (١٢٢ – ٤٥١ هـ / ٧٣٩ – ١٠٥٩م) ، دراسة في احوالها السياسية والدينية ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية التربية ، جامعة البصرة ، ٢٠٠٨م .
٤٣- دولة بني مدرار في سجلماسة (١٤٠ – ٣٦٧ هـ / ٧٥٧ – ٩٧٧م) دراسة في أحوالها السياسية، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية ، جامعة البصرة ، ٢٠٠٠م .
فلوتن ، فان
٤٤- السيادة العربية والشيعة والاسرائيليات في عهد بني أمية ، ترجمه عن الفرنسية وعلق عليه حسن ابراهيم حسن ومحمد زكي ابراهيم ، ط٢ ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٥م .
فيصل ، شكري
٤٥- المجتمعات الاسلامية في القرن الأول ، ط٣ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٧٣م .
قطب ابراهيم محمد
٤٦- السياسة المالية للرسول (ص) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٨م .

لوبون ، غوستاف
٤٧- حضارة العرب ، ترجمة عادل زعيتر ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، القاهرة ، ١٩٦٩م
لومبارد ، موريس
٤٨- الجغرافية التاريخية للعالم الاسلامي خلال القرون الاربعة الأولى ، ترجمة عبد الرحمن حميدة ، دار الفكر ، دمشق ، ١٩٩٨م .
لويس ، أرشيبالد . ر.
٤٩- القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط (٥٠٠ ــ ١١٠٠م) ، ترجمة احمد محمد عيسى ، مراجعة وتقديم محمد شفيق غربال ، ملتزمة الطبع والنشر مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة، (د.ت) .
ماجد ، عبد المنعم
٥٠- التاريخ السياسي للدولة العربية (عصر الخلفاء الأمويين) ، مكتبة الوطن للطباعة والترجمة والاستنساخ ، بغداد (د.ت) .
محمود اسماعيل
٥١- الأدارسة (١٧٢ ــ ٣٧٥ هـ) حقائق جديدة ، ط١ ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ١٩٩١م .
٥٢- الحركات السرية في الاسلام (رؤية عصرية) ، ط١ ، دار القلم ، بيروت ، ١٩٧٣م .
٥٣- الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري ، ط٢ ، دار الثقافة ، الدار البيضاء، ١٩٨٥ .
المصري ، جميل عبد الله
٥٤- أثر أهل الكتاب في الفتن والحروب الأهلية في القرن الأول الهجري ، ط١ ، مكتبة الدار ، المدينة المنورة ، ١٩٨٩ .
مصطفى ، شاكر
٥٥- الأندلس في التاريخ ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ، ١٩٩٠م .
٥٦- موسوعة دول العالم الاسلامي ورجالها ، ط١ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٩٣م .
الموحي ، عبد الرزاق رحيم صلال
٥٧- حقوق الانسان في الأديان السماوية ، تقديم سعدون محمود الساموك ، ط١ ، دار المناهج ، عمان ، ٢٠٠٢م .

مؤنس ، حسين
٥٨- فتح العرب للمغرب ، الناشر مكتبة الثقافة الدينية ، مصر (د.ت) .
ناجي حسن

٥٩- القبائل العربية في المشرق خلال العصر الأموي ، ط١ ، منشورات اتحاد المؤرخين العرب ، بغداد ، ١٩٨٠م .
الناصري ، احمد بن خالد
٦٠- الاستقصا لأخبار دول المغرب الاقصى ، (د.م) ، (د.ت) .
نصر الله ، سعدون عباس
٦١- دولة الأدارسة في المغرب – العصر الذهبي (١٧٢ – ٢٢٣ هـ / ٧٨٨ – ٨٣٥م) ، ط١ ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٨٧ .
الورداني ، صالح
٦٢- السيف والسياسة في الاسلام – الصراع بين الاسلام النبوي والاسلام الأموي ، ط١ ، دار الرأي ، بيروت ، ١٩٩٩م .
الوردي ، علي
٦٣- منطق ابن خلدون في ضوء حضارته وشخصيته ، ط١ ، منشورات سعيد بن جبير ، قم ، ٢٠٠٥م .
٦٤- وعاظ السلاطين ، ط١ ، دار الحوراء ، بغداد ، ٢٠٠٥م .
اليوزبكي ، توفيق سلطان
٦٥- دراسات في النظم العربية والاسلامية ، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر ، جامعة الموصل ، ١٩٧٧م .